www.dar-alkotob.com دار الكتب

www.dar-alkotob.com دار الكتب

المكتبة الثقافية
٤٣٨

توفيق الحكيم
من العدالة إلى التعادلية

د. محمد الجوادى

١٩٨٨

دار الكتب www.dar-alkotob.com

الاخراج الفنى : ماهر الشمسى

دار الكتب www.dar-alkotob.com

اهـــــداء

الى العـــلامة الأســـتاذ الدكتور

حســـين فـــوزى

الذى وصـــل ما بينى وبين توفيق الحكيم

دار الكتب www.dar-alkotob.com

دار الكتب www.dar-alkotob.com

مقدمة

بعد ساعات من وفاة توفيق الحكيم عليه رحمة الله بدات كتابة هذه الفصول ، وبعد حوالى اسبوعين كنت قد انتهيت منها اثنا عشر فصلا .. تغلب عليها الانطباعات الشخصية والدفقات الشعورية .

ثم رايت بعد ذلك ان اعيد كتابة ما كتبت على النحو الذى انتهجته دوما فى كتابة التراجم (فى كتبى الثمانية التى نشرتها فى هذا الأدب) ... وهكذا اصبح هذا الكتاب اربعة ابواب تلقى بعض الأضواء على بعض الجوانب من حياة رجل عظيم .

وليس بمقدورى ان ازعم على اية صورة من الصور ان بابا كالباب الرابع او الثالث او حتى الأول والثانى يقادر على الالمام بموضوع عنوان الباب .. انما هى لمحات سريعة فى مجال الحديث عن حياة توفيق الحكيم (فى الباب الأول) أو فكره (فى الباب الثانى) او ريادته فى الأدب (فى الباب الثالث) او آثاره الأدبية (فى الباب الرابع) .

دار الكتب www.dar-alkotob.com

كانمـا كان حرصى على وضـع هـذه الاسهامات المتواضعة تحت هـذه العناوين الكبيرة شـبيها تماما بما يفعل المدخرون الصغار الذين ينوعون من مدخراتهم النقدية فاذا هم فى البنوك وقد توزعت ثروتهم القليلة على حسابات مختلفة العملة من الدولار الى المـارك الى الاسترلينى بينما هى كميات متواضعة من كل .

وفى توفيق الحكيم وحياته وفكره وأدبه وآثـاره آفـاق كثيرة من الذهب الخالص .. ومن الذهب الذى أعاد تشكيله سبائك وقلادات يستمتع بها قارئوه كمـا يفخر بها مواطنوه .

هذا وباله التوفيق ؟

دكتور محمـد الجوادى

مدرس القلب المساعد

كلية الطب ـ جامعة الزقازيق

القاهرة ت ٢٤٨٣٤٨١

دار الكتب www.dar-alkotob.com

الباب الأول

حياة توفيق الحكيم

دار الكتب www.dar-alkotob.com

دار الكتب www.dar-alkotob.com

حياة توفيق الحكيم

متى ولد توفيق الحكيم :

كان تاريخ ميلاد توفيق الحكيم المكتوب دوما هو عام ١٩٠٢ ، وهو التاريخ المسجل فى الطبعة الأولى من الكتاب الخاص بمجمع اللغة العربية واعضائه (وهى الطبعة التى صدرت فى العيد الثلاثينى للمجمع فى منتصف الستينيات) .. ولكن ، فى نهاية السبعينيات أصر توفيق الحكيم على أن يعلن للناس أو تاريخ ميلاده الحقيقى قبل هذا بأربع سنوات وبالتحديد فى ١٨٩٨ .. ومن يومها أخذت كل الأوراق تتغير لتضيف الى الحكيم أربعة اعوام دفعة واحد .. وهكذا بدلا من ان يزيد عمر الحكيم عاما واحدا فى سنة زاد فى هذه السنة خمسة اعوام ..

دار الكتب www.dar-alkotob.com

لماذا لم يكتشف الحكيم هذا التاريخ الا مؤخرا ؟؟ هل كان لذلك علاقة برغبته فى الاسراع بالرحيل فهو يزيد فى السن بحيث تزداد احتمالات رحيله نظريا ؟؟

هل كان توفيق الحكيم يريد ان ينتمى الى مواليد القرن السابق ولو فى آخره بدلا من ان يكون من مواليد هذا القرن ؟

هذا هو السؤال المهم الذى قد يكون مجالا لبحث علمى حول الصورة التى كان توفيق الحكيم يحب ان تطبع تصور الناس عنه .. بحث منهجى يمتد الى ثنايا مؤلفاته والى كل ما بين سطور كتاباته .

ستون عاما من الانتاج الفكرى :

بدا الحكيم انتاجه الفكرى منذ حوالى سنة ١٩١٨ ثم بدا انتاجه الفكرى مرة ثانية وبتواصل منذ عام ١٩٣٣ ، اى بعد ١٥ عاما من البداية الأولى .. ولهذا فقد كنت ولازلت اتأمل النص الجميل الذى جاء فى بيان رئاسة الجمهورية الذى نعى الرئيس حسنى مبارك توفيق الحكيم الى أمته فقال انه اثرى حياتها طيلة ستين عاما .. فلو اننا حسبنا الاثراء منذ ١٩١٨ لأصبح الزمن سبعين عاما ، ولو اننا حسبنا الاثراء منذ ١٩٣٣ لأصبح الزمن خمسا وخمسين عاما .. ولكن بيان الرئاسة

www.dar-alkotob.com دار الكتب

كان أقرب الى الحقيقة وان لم يكن هو الحقيقة .. تماما كالمتوسط الحسابى .

توفيق الحكيم فى ضمير بلاده :

فى ذاكرة الثقافة المصرية ان الرئيس جمال عبد الناصر عندما افتتح مبنى الأهرام الجديد الذى قام على بنائه الأستاذ محمد حسنين هيكل التقى مع نخبة من المفكرين المصريين الذين كانوا يكتبون للأهرام .

كان فيهم توفيق الحكيم بالطبع ، والدكتور حسين فوزى ، ونجيب محفوظ ، والدكتورة عائشة عبد الرحمن والدكتور لويس عوض .. وعلى حين اختص الرئيس عبد الناصر كلا من هؤلاء بالاشادة بالروح السائدة فى كتاباته فانه خص توفيق الحكيم بتقدير اكبر .. فقد قال للويس عوض انه يعبر عن مصر الفرعونية ، ولبنت الشاطىء انها تعبر عن مصر الاسلامية ، ولحسين فوزى انه يعبر عن مصر الأوربية بكل تطلعاتها و .. اما توفيق الحكيم فانه يعبر عن مصر التى يعرفها عبد الناصر ..

ازمة الاديب والوزير :

ولم يكن هذا هو التقدير الوحيد الذى اضافه عبد الناصر الى توفيق الحكيم ، فمن قبل هذا كان عبد الناصر قد صرح بان أفكار توفيق الحكيم كانت وراء

دار الكتب www.dar-alkotob.com

مراحل متعددة من الفكر الذى صنع ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .. وانه (اى عبد الناصر) وزملاءه قد اهتدوا بأفكار توفيق الحكيم .. التى دفعتهم منذ البداية الى هذا التطلع المحسوب من اجل مصلحة بلادهم .

المظهر الثالث كان انعام الرئيس عبد الناصر بأعظم الأوسمة على توفيق الحكيم حيث منحه ما لا يمنح الا للرؤساء .

المظهر الرابع — وربما كان أسبق تاريخا — هو ما حدث فى اول عهد الثورة حين أعدت كشوف التطهير ، وكانت دار الكتب التى يتولى توفيق الحكيم منصب المدير فيها تابعة لوزارة المعارف ، واذا بالكشوف التى تضم اسماء المقترح اخراجهم من وظائفهم تتضمن اسم توفيق الحكيم ، ويعرض الأستاذ اسماعيل القبانى وزير المعارف الأمر على مجلس الوزراء معقبا بأن توفيق الحكيم لا يفعل شيئا يذكر فى هذه الدار ، ولا يكاد يحرك ورقة عن موضعها ، مع ما لهذه المؤسسة من اهمية كبرى .. فاذا بعبد الناصر نفسه يعارض قائلا ما معناه :

وماذا تقول عنا الدول فى الخارج اذا كان هذا هو سلوكنا مع مثل هذا الرجل ؟

وينقل فتحى رضوان الحوار الى خارج المجلس ، وتكون أزمة ربما كانت تدعو الى استقالة الوزير ولكن

www.dar-alkotob.com دار الكتب

الرئيس يطيب خاطره وكذلك يفعل فتحى رضوان الذى افشى الحوار .. وفيما بعد علق احد النقاد على هذه الواقعة بأن عبد الناصر آثر الأديب على الوزير .

الحكيم وانور السادات :

على نفس الخط تقريبا : ــ كان انور السادات يمضى فى تكريم توفيق الحكيم على الرغم من ان توفيق الحكيم تزعم فى ١٩٧٢ حركة الكتاب والصحفيين المطالبين بتغيير الأوضاع من اجل كسر حالة اللاسلم واللاحرب .. ومن أجل عودة الديمقراطية (وان لم تكن الألفاظ بومها بذات الصراحة) .. ولهذا فان انور السادات كان كثيرا ما يداعب الحكيم فى اللقاءات الرسمية وغير الرسمية ويدعوه الى الجلوس الى جواره .. وفى احد هذه اللقاءات ــ وكان خاصا باتحاد الكتاب الذى راسه توفيق الحكيم ــ اعلن الحكيم إنه سيدفع لأنور السادات اشتراك عضويته فى الاتحاد من ماله الخاص .

الدكتوراة الفخرية :

وفى السبعينيات اهدت اكاديمية الفنون برئاسة رشاد رشدى الدكتوراة الفخرية الى اربعة من قمم العطاء الفنى كان الحكيم اولهم (الثلاثة الآخرون هم : يوسف وهبى ، وزكى طليمات ، ومحمد عبد الوهاب

www.dar-alkotob.com دار الكتب

اطـال الله بقـاءه) .. فى السـبعينات ايضـا كرر انور السـادات منح توفيـق الحكيم ارفع الأوسـمة المصريـة .

توفيق الحكيم وهيكل :

وربما كان اكثر النـاس تقديرا حقيقيا (من ذلك التقدير الذى يعود بالنفع) للأستاذ توفيق الحكيم هو محمد حسنين هيكل صديقه القريب الى نفسه ، فهيكل صاحب الفضـل فى (اكتشـاف) توفيـق الحكيم فى الستينيات ووضعه فى المكانة الأولى التى تليق به (مع ان طه حسين كان لايزال على قيد الحياة) .. فى (قلعة) الأهـرام حيث اصـبح توفيـق الحـكيم عضـوا فى مجلس ادارة الأهرام ورئيسا فخريا .. واصبح له مكتب وصالون فى الدور السادس حيث يلتقى بالصحفيين والكتاب والأساتذة فى مكان مشرف جدا بحيث اصبح الأهـرام بالفعل ملتقى ومنتدى للنخبة الرفيعة من هؤلاء .. وقد تعاقب على هـذا المنتدى كل اصحاب المكانة الرفيعة فى الفكر المصرى بلا استثناء حيث جاء فى اعقاب الحكيم عدد كبير من كبار الصحفيين والمفكرين المصريين الذين آثروا وظيفة الحكيم هـذه ككاتب متفرغ على العمل الصحفى الروتينى ورئاسة التحرير او رئاسة مجلس الادارة .

دار الكتب www.dar-alkotob.com

صـــالون الحـــكيم :

وفى السنوات الأخيرة كان هناك فى هـــذا الصالون كل من احســان عبد القدوس ، ومصطفى بهجت بدوى ، وعبد الرحمن الشرقاوى ، واحمد بهاء الدين بعد ان تركوا ارفع المناصب الصحفية .. وكانت هنـــاك ايضـــا المجموعة القديمـــة من المفكرين الذين خلفهم هيـــكل فى الأهرام بدءا من الصديق القديم لتوفيق الحكيم : الدكتور حســـين فـــوزى والدكتور زكى نجيب محمـــود ونجيب محفوظ وبنت الشاطىء ويوسف جوهر وصلاح طاهر .. ثم كان هنـــاك ايضا الجيل (الصاعد الى الشيخوخة) متمثلا فى ثروت أباظة ، ويوسف ادريس بالاضافة الى اقطاب العمل الصحفى فى الأهرام : كمال الملاخ ، واحمد بهجت ، وممدوح طه ، وصلاح منتصر ، وصلاح جلال .. الخ .

وفى مكتب توفيق الحكيم اتيح لى ان اعرف هؤلاء وان ارى مدى علاقتهم بتوفيق الحكيم .

الأهرام فى حياة توفيق الحكيم :

ربما لو لم يكن هيكل قد هيأ لتوفيق الحكيم هذه المكانة فى الأهرام لكان الرجل العظيم يعانى من مصـــاعب كثيرة فى حياته ، حين كان عليه ان يبحث عن مكان تحت الشـــمس .. وبخاصـــة انه بحـــكم تساميه الرفيـــع

دار الكتب www.dar-alkotob.com

وشخصيته المتواضعة لم يكن صاحب محراب مثل العقاد .. ولا صاحب مكانة اكاديمية مثل طه حسين .. وربما كان من الواجب من باب ذكر الفضل لذويه أن نكرر أن هيكل هو الذى (اكتشف) لمصر الستينيات توفيق الحكيم .

النجم الذى يحب :

مع هذا لم يكن حسنين هيكل هو صاحب الفضل الأسبق فى هذا المقام فمن قبل حظى توفيق الحكيم بكثير من التقدير الذى حماه من ازمات شديدة ... وربما كان توفيق الحكيم ابرز نموذج للنجم الذى يحب ، فهو ودود عطوف متواضع بلا ادنى شك ، وليس من الصعب على اى انسان (من طبقة الحاكمين) أن يجد قدرا هائلا من الحب فى نفسه لتوفيق الحكيم .. الذى لم يكن صاحب مرض من امراض الغرور او الحقد او الكبر .. ربما كان الحكيم أبرز مثل للنجاة المطلقة من هذه الأخلاق القاسية .. ولهذا كان الحكيم يحظى بعطف وتقدير كثيرين من زعماء ما قبل الثورة بدءا من هدى شعراوى التى كانت حريصة كل الحرص على تزويج توفيق الحكيم ، ومرورا بهيكل زميله فى الأدب الذى حرص على حمايته من الفصل من وظيفته الحكومية فى الثلاثينات .. ومحمد محمود باشا رئيس الوزراء الذى وقف الى جواره فى محنة التحقيق بسبب مقاله عن الديمقراطية .

دار الكتب www.dar-alkotob.com

اطمئنـــان الثقـــة :

وعلى النقيض من كثيرين جـــدا من مثقفينا الذين كانوا ينتظرون دائمـــا أن يجـــدوا فى الرئاســـات من يفهمهم فقد كان الحكيم (على الرغم من علاقته القوية بهيكل) أقل الناس خوفا من التغيرات فى رئاسات مجلس إدارة وتحرير جريدة الأهرام.. حتى أصبح رئيس مجلس الادارة واحدا من اهل الادارة لا الصحافة .. فاذا به صديق حميم للحكيم ، وكان الحكيم رحمه الله يقول عنه انه من أكثر الناس فهما وتفهما وتقديرا .. ربما لأنه تاجر !! .. لم يكن الحـــكيم ابدا من الذين اســـتهوتهم الشعارات او التصنيفات فى اى مجال ..

التقـــدير الرســـمى :

على الصعيد الرسمى نال توفيق الحكيم تقديرا لا يقل عن التقدير الذى لقيه طه حسين ، ربما لم يعين توفيق الحكيم وزيرا للمعارف ولا للثقافة ولا كان مثل هذا المنصب فى خياله او حساباته .. ولكنه كان سفيرا على أرفع مســـتوى لأنه كان المنـــدوب الدائم لمصر فى اليونسكو بباريس وهو المنصب الذى شـــغله بعد ذلك عدد من أبرز وجوهنا السياسية منهم الدكتور/ مصطفى كمال حلمى ... وفى هـــذا المنصـــب عـــاود توفيـــق الحكيم اتصاله بالحياة الفرنسية وراى الصورة الجديدة

www.dar-alkotob.com دار الكتب

لها بعد الحرب العالمية الثانية عن كثب ، وعن معايشة واقعية .. واختلط بالأفكار والمفكرين الجدد ، وظهر كل هـذا التأثير فى ادبه الجديد الذى لم يصبح مجرد تكرار لثروته القديمة ، وانما أصبح رحيقـا فيـه التجديد والحداثة والمعاصرة .

التقدير العلمى والفنى :

كان توفيق الحكيم يتمتع بعضـوية كل الهيئـات المحترمة التى قد يصل اليها كل من هم فى مكانته ، فحتى قبل ان ينتقل الى رحمة الله كان توفيق الحكيم ثانى أقدم عضـو فى مجمع الخالدين بالقاهرة (بعد الدكتور مدكور رئيس المجمع) . وهو أقدم الأعضـاء المنتخبين « فقد كان مدكور معينا فى ١٩٤٦ » .. وقد صمم توفيق الحكيم على الاستقالة من المجمع قبل وفاتـه رغم ان عضويته لم تكن تكلفه جهدا كثيرا فقد كان قليل الحضور الى حـد كبير ... ولكنى اذكر — والله على ما اقـول شهيد — انه كان متأثرا اشد التأثر يوم ذهب الى المجمع فى الجلسة التى كان الدكتور زكى نجيب محمود مرشحا فيها لعضـوية المجمع وفشل فى اقناع المجمع بانتخـاب المفكر الكبير ، وقد قابلته فى اثر هـذا الاجتماع وكان متأثرا اشـد التأثر .. ولكنـه لم يكن يصرح بحـكم ما جبل عليـه من رفيع الأخـلاق ، حتى حملتـه بكل ما وسعنى من معلومات واستنتاجات على التصريح .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

رجـلة القــانون :

كان الوضع الطبيعى لقانون « عاقل او متعقل » كالأستاذ توفيق الحكيم أن يواصـل عمله الحـكومى الهادىء فى سـلك القضـاء حتى الوصـول الى درجـة المستشارية التى يختم بها رجال القضاء عملهم او مجدهم، وفى الحقيقة ان توفيق الحكيم له يكن يمـانع فى هـذا العمل ، ولا فى الاستمرار فى هذا السلك فقد كانت الوظيفة الحكومية كفيلة بأن تكفل له ما يقيم أوده ، وأن تكفل له كذلك الوقت الذى كان يتهيأ للكتابة فيه وللتعبير عن المشاعر أو الأفكار التى يريد الكتابة فيها .

ولكن اصدار الحكيم لمسرحية اهل الكهف اتـاح له الفرصة ليمارس الاصلاح الاجتماعى من خلال الكتابة فى الصحف التى اقبلت على صاحب هذا الأسلوب الجميل والفكر المرتب الاخاذ .

ولهذا اصبح حسين توفيق الحكيم « نجما » رغم انفه ، او كما تمنى ، وهو لهذا يرشح لوظيفة اخرى متصلة فى جوهرها بالقضـاء والقانون ولكنها فى الوقت نفسه خارج السلك نفسه ، سلك الوقار والتفرغ ، الذى يحـافظ عليه صاحبـه لا لشىء الا ليـكون الانسـان مستشارا .

ويعمل توفيق الحكيم فى وزارة المعـارف مديـرا للتحقيقات ثم فى وزارة الشئون الاجتماعية التى انشئت

www.dar-alkotob.com دار الكتب

لأول مرة ثم يتعاقد (١٩٤٣) مع اخبار اليوم ويبقى بعيدا عن الحكومة حتى عام واحد وخمسين .

ثم يعمل فى دار الكتب وفى اليونسكو ممثلا لبلاده.. ولكنه اصبح خارج الهيئة القضائية .. هل خسر الحكيم كثيرا .. لا اظن ولكن هل خسرت الهيئة القضائية المصرية .. نعم بكل تأكيد .

قدرة الحكيم على ترك القفص الذهبى :

من اطرف ما يمكن ان احدا من القانونيين بعد توفيق الحكيم لم يستطع الفكاك من (الشرك) القضائى ليحقق المجد الأدبى .. واصبحت العدالة نفسها مقتنعة بوجود اصحاب الهوايات فى وظائف العدالة حتى النهاية ... ولكن احدا منهم لم يرق الى مرتبة الحكيم ابدا .

ولكن هل كان توفيق الحكيم يصلح لمرتبة المستشار؟ وهل كان الرجل قادرا على اصدار احكام فى الجنايات ؟ ـ مع حسه المرهف ؟ ـ او فى القانون المدنى مع كراهيته للشر .. من السهل الحكم بنفى قدرة توفيق الحكيم على اللمعان فى هذا المجال ، ولكن الذين يقرأون التاريخ المصرى الحديث كله سيجدون أن تمام النمو فى شخصية القادة المفكرين بدءا من سعد زغلول وعبد العزيز فهمى ... وحتى حفنى ناصف لم يتحقق الا فى احكامهم التى كتبوها حين لم يكن هناك مجال

دار الكتب www.dar-alkotob.com

للأدب الفنى كالذى فتحه توفيق الحكيم لنفسه ، وللأدب العربى كله .. وعلى ضوء هذا يمكن لنا ان نفهم ان توفيق الحكيم قد وصل الى الحكمة فى صورة ارفع حين اتيح له ان يرسم هو كل الجو : المتخاصمين والقصة ، والدفاع وفكره ، والادعاء وفكره ثم بعد هذا يرسم دور القضاء وقد لعبه القدر لا القضاء .. راجع كتاب الأستاذ عبده حسن الزيات « سعد زغلول من اقضيته » ، وتأمل كيف كان سعد يبذل جهدا كبيرا للخروج من الوقائع الى الحكمة .. ثم تأمل كيف كان توفيق الحكيم يصوغ الوقائع فى الأدب لا فى ساحة المحاكم ليخرج بالحكمة الى الناس .

الحكيم نموذج للمصلح الجديد :

والفارق اذن بين الموقفين يتمثل تقريبا — مع الفارق — فى الفرق بين البلاد التى تصنع المواد الأولية والخامات التى تبنى عليها صناعة معقدة .. وبين بلاد اخرى عندها المصنوعات وقد اصابها بعض العطب فهى ترسم على الورق السبيل الى اصلاح هذه الجزئيات .. واحيانا ما تقوم بهذا الاصلاح .

ربما لم يتح لسعد زغلول وحفنى ناصف وقاسم امين وعبد العزيز فهمى ذلك القدر من الثقافة والتفاعل مع الحضارة الأوربية كما اتيح لتوفيق الحكيم .

دار الكتب www.dar-alkotob.com

ولكن الذى لاشـــك فيه ان توفيق الحـــكيم ادى حقوق النعمة التى كانت عليه لمجتمعه .

زمـــلاء الحـــكيم :

ثم انه يمكن لنا من تأمل زملاء توفيق الحكيم عند تخرجه فى مدرســـة الحقوق فى دفعـــة ١٩٢٥ ان نرى صورة من صور تصاريف القدر .. فقد ضمت هـــذه الدفعـــة ستة من مشاهير حياتنـــا العامة ربما لم يرق أحدهم « مع كل ما وصلوا اليه من مجد مبكر » الى ما وصل اليه توفيق الحكيم .

ففى هذه الدفعة (١٩٢٥) تخرج مع توفيق الحكيم (وفى سن مبكرة عن الحكيم عليه رحمة الله » ، الأديب الكبير الأســـتاذ يحيى حقى ، الذى عمل فى الســـلك الدبلوماسى حتى جاء عهد الثورة ، فخرج منه لا لشىء الا لأنه متزوج من اجنبية ، ولم يخرجه من هذا السلك حبه للأدب ولا ممارسته له (كما حدث للحكيم فى السلك القضـــائى » ، بل ربما كان الأدب .. هو المتـــكأ الذى استند اليه يحيى حقى حين خرج من هذا السلك .

وليس فى هـــذا المقام محـــل للمقارنة بين توفيق الحكيم ويحيى حقى ، ولاشـــك ان يحيى حقى قد حظى فى افئدتنا جميعا بمكانة تدنو من مكانة توفيق الحكيم

دار الكتب www.dar-alkotob.com

ولاشك ان يحيى حقى فى ريادته للقصـــة لا يقل عن توفيق الحكيم فى ريادته للمسرح .

ولكن الذى لاشك فيه انه اذا كانت الحيـــاة قد ظلمت توفيـــق الحكيم درجـــة فقد ظلمت يحيى حقى درجتين .. وربمـــا كان لاتصـــال الحـــكيم (الدورى) (والمفتوح) وحتى النهاية بالجمهور عن طريق الصحافة ما رفع عنه بعض الظلم الذى حاق بيحيى حقى .

***

وفى هذه الدفعة تخرج واحد من اكبر اقطاب القانون الرسميين طيلة عهد عبد الناصر وأول عهد الســـادات وهو المستشار بدوى حمودة .

وفيها ايضا تخرج واحد من اكبر اقطاب الاقتصاد ، محافظ البنك المركزى الأشهر عبد الحكيم الرفاعى الذى كان ـــ امضاؤه ولازال دليـــلا على عشرات الجنيهات والعملات التى كانت لها قيمة .

صـــديقان :

وبالاضافة الى هؤلاء الأربعة فقد تخرج فى هـــذه الدفعة اثنان من الذين وصـــلوا الى منصب الوزراة وكانا هما الاثنين ـــ ربمـــا من باب الصـــدفة اقرب اصـــدقاء توفيق الحكيم .

دار الكتب www.dar-alkotob.com

فأما الثانى فهو الأستاذ ابراهيم فرج السكرتير العام لحزب الوفد الجديد ، الذى عمل فى آخر العهد السابق وزيرا للشئون البلدية والقروية .

وأما أولهما فهو الصديق الصدوق لتوفيق الحكيم ، الذى سبقه الى الدار الآخرة ، منذ ثلاثين عاما الدكتور حلمى بهجت بدوى وربما لا يكون هذا من باب الجديد على قراء توفيق الحكيم .. الذين يعرفون من قراءة أدب الحكيم كم كان اديبنا الكبير يكن من تقدير واعجاب بزميل دراسته حلمى بهجت بدوى الى الحد الذى يجعله يروى فى معرض حديثه عن نجاحه فى الليسانس أنه مدين بالفضل لحلمى بهجت بدوى الذى كان يظل ساهرا فيجد الحكيم نفسه يوبخ نفسه الأمارة بالنوم !! .. ثم ان هذين الصديقين قد قضيا حياة الشباب معا حتى اذا تزوج حلمى بهجت بدوى قبل توفيق الحكيم وترك صديقه الى عش الزوجية لم تكن الهدية الا النسخة الخطية من أولى مؤلفات توفيق الحكيم ثم ان الله سبحانه وتعالى يهيىء من مجريات الأمور فى السبعينات ما يجعل الشقيق الأصغر لحلمى بهجت بدوى يأتى بعد رئاسة مجلس دار التحرير ليكون كاتبا متفرغا فى مكتب مجاور لمكتب توفيق الحكيم ، يطل عليه فى الصباح ، أقيتذكر فى شيخوخته أجمل أيام شبابه .

دار الكتب www.dar-alkotob.com

الحنين الى العـدالة :

ثم ان توفيق الحكيم كان معتزا بشـدة بانتمائـه القضـائى ، ولم يكن رغم تصـويره (الأدبى والفنى » للسلبيات التى فى المهنـة وممارسـتها من الذين فرحوا بالخلاص منها ولا الذين سعوا الى ذلك ، وربما كان يسعد توفيق الحكيم لو ظل فى هذه المناصب ، ولكن مجريات الأمور لم تكن لتسمح له بالتعبير عن مثل هـذه الأمانى التى لم تكن لتتحقق لأديب مرموق ظهر اسـمه بين اهل هـذا الوسط .. ولعل مما يعيننا على فهم المكانة التى كان فيها توفيق الحكيم فى زمانه والصعوبات التى نشأت عن هـذه المكانة لعل مما يعيننا على هذا ان نقرأ الفقرات التى كتبها زكى عبد القـادر فى كتابـه « اقدام على الطريق » حين جوزى بلا سبب ، فلما سأل رئيسه جادله بالباطل ثم انتهى معه الى انه « ليس له شكل الموظفين » .

وربما اتاح مرور الزمن للقانونيين فى الأجيال التالية لتوفيق الحكيم ان يكونوا اقرب الى الصـورة التى كان يمكن ان يكون توفيـق الحـكيم خير نموذج لها ولكن الأسف فان هذه الفرصة جاءت متاخرة وجاءت فى جيل ليس فيه توفيق الحكيم !!

دار الكتب www.dar-alkotob.com

صفاتـــه الشخصـــية :

كان الحكيم منظما فى حياته ولكنه لم يكن منظما جدا ، أى انه لم يكن من الذين يجبرون انفسهم على نظم كثيرة ، وكان الحكيم حريصـــا دائما على مظهره الأنيق (الرسمى » من دون تكلف ، واذكر انه كان دائما حريصا على ارتداء رباط العنق ، ولكن « رباط العنق » الذى كان يرتديه لم يكن يختلف كثيرا عن الربـــاط المبســـط الذى يلبسه تلامذة المدارس الابتدائية ، بحيث يمكنه أن يفكه أو أن يرتديه فى لحظـــة واحدة بمجرد فك الاستك .

وكان الحكيم يقضى نهاره فى الأهرام حتى آتـــاه المرض فاختصر أيام حضوره حتى أصبحت يوما واحدا (هو الخميس » كل أسبوع ثم كل أسبوعين ..

وكان يبقى فى الأهـــرام حتى حـــوالى الســـــاعة الثانيـــة ..

واذكر انه فى اعقاب معـــاهدة الســـلام ، وحرص الاسرائيليين فى الاكثار من لقاءاتهم بقادة الفكر والأدب المصريين ، كان قد ضرب موعدا لأحد هؤلاء عن طريق المركز الاعلامى فى هيئة الاستعلامات ، ولم يأت الضيف فى موعده المحدد ، وكان قبيل الساعة الثانية ! وخشى الحكيم أن يأتى الضيف بعد الساعة الثانية ويستبقيه الى وقت متأخر ، فاتصل بجراج الأهرام يطلب السيارة التى ستقوم بتوصيله ، وخرج الى المصعد ، ثم خطرت له فكرة

دار الكتب www.dar-alkotob.com

(عندما طال به الوقوف فى انتظار المصعد » .. خشى الحكيم أن يفتح باب المصعد الذى ينتظره فيكون فيه الضيف الاسرائيلى فيضطر للعودة معه الى مكتبه .

واذا هو مصمم على أن يتحرك من هـذا الطـابق الى طابق آخر (وليكن الخامس) لينتظر فيه المصعد .

الحـكيم والتليفزيـون :

كان الحكيم فى سنواته الأخيرة يظهر اعجابا بقـدرة التليفزيون على الاستيلاء على وقت الناس وعقولهم وكان منتبها بالطبع الى الخطورة الكامنة فى هذا الأمر ، ولكنه كان مع ذلك يدرك أن الكون على ابواب حضارة جديدة يصعب على أمثاله من أصحاب الزمن المـاضى الحكم فيها على وجه الصواب والخطـأ .

الحكيم وكرم القـدم :

لم يكن الحكيم يعجب من شىء فى حيـاة المصريين اكثر من اندهاشه لمدى الاهتمام والتقدير الذى يمنحه هذا الشعب لكرة القدم ..

وكان دائما ما يشغل باله باحصاء دخول هؤلاء اللاعبين مقارنا بحاله هو (الذى لم يقبض فى حياته مبلغا كبيرا دفعة واحدة الا خمسة آلاف جنيه فى فيلم رصاصة فى القلب) .

دار الكتب www.dar-alkotob.com

وحاول الحكيم فى سنواته الأخيرة ان يستكشف فى لعبة كرة القدم شيئا من الفن او القوة فلم ينجح فى هذا ابدا وساءه بالطبع هـذا الضجيج الذى كان يراه فى التليفزيون ، كصـدى للضجيج الذى فى الملاعب .. ولكنه مع كل هذا كان يتحفظ فى ابداء مشاعره فى هذه النقطة بالذات حتى لا يجرح جماهير شعبه ، ولا نجوم لعبة مفضلة عند هذا الجمهور .

اسرار توفيق الحكيم :

لم يكن لتوفيق الحكيم كثير من الأسرار ولا قليل ، حتى حديثه مع العصا والبيريه والحمار وهو حديث مع نفسه (على اختلاف مستوياتها) كان معلنا للنـاس ، ولكن هـذا لا يعنى ان توفيق الحكيم كان يطلع الناس على كل ما فى حياته فى حينه وانما يعنى ان (الفنان » فى توفيق الحكيم تغلب على (الانسان) ولو بعد حين .. حتى اصبحت حياة توفيق الحكيم كتابا مفتوحا امـام الناس .

ربما يعن لنا هنا ان نستطرد الى القول بأن توفيق الحكيم جعل الناس يقراون حياته كلها .. ولم يبخل عليهم فى هذا الصدد .. وسوف يجد القراء اننا قلنا فى موضع آخر انه كان بين اقرانه اكثر الأدبـاء ذكاء فى توزيـع حياته على اكثر من موضـع ، واكثر من كتـاب ، ولم (يضيعها) فى كتاب واحد .

دار الكتب www.dar-alkotob.com

ربما كان الجانب الآخر لهذه الحقيقة هو ان توفيق الحكيم روى حياته كلها (تقريبا » ولم يقتصر على طفولته أو نشأته فحسب . او على تجربة معينة فيها .

اصدقاء توفيق الحكيم :

كان اكثر اصـــدقاء توفيـــق الحـكيم من طوائف متعددة : فعنده مهندســـون واطبـــاء وقانونيون ووزراء ورجال سياسة وهو متبسط معهم جميعا .. « وكان عنده صحفيون هو متوجس دائما منهم ».. وكان الحكيم يسعد كثيرا بالنقاد الأكاديميين الذين يكون فى مقدورهم الوصـــول بكتاباتهم الى الجمهور .. وكان من هـــذا الطراز الدكتور هيكل وزير الثقافـــة السابق والدكتور عز الدين اسماعيل والدكتور القط ... الخ .

الحـــكيم والأطبـــاء :

كان الحـــكيم يقـــدر الأطبـــــاء ، وكان يعتز بأن على ابراهيم باشا اجرى له عملية الزائدة .. وقال له يوما انه لن يأخذ منه اجرا لأنه يخاف اقلام الكتاب .. وكان ســـعيدا جدا بصداقته لعدد من الأطباء المفكرين والأدباء فقد كان حسين فوزى صـــديق عمره ، وكان كامل حسين مبعث اعتزازه بصـــداقة قوية ، وكتب عنه ابراهيم ناجى دراسة نقدية رائعة ، وكان الدكتور ادهم ابو رجب من اصدقائه المقربين الى نفسه .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

ثم كانت له صداقة قوية مع الأطباء الذين تولوا علاجه فى السنوات الأخيرة .. وكانت لتوفيق الحكيم آراء طبية ربما بدت ساذجة .. ولكن لها من الواقع ما يؤيدها ، وربما عثرنا فى المستقبل على التفسيرات العلمية لها .

ولعل ابرز هذه الآراء ما كان يكرره لى دوما من ان الرجل اذا اجرى عملية استئصال البروستاتا فانه يصير الى الفناء « أو فى النازل » .. هكذا اثبتت له التجربة فيما سمع من التاريخ المرضى لأصدقاء او معارف قبل أن ينتقلوا الى رحمة الله .. أو يفقدوا توهج الفكر والشعور ..

هل كان للحكيم اعداء ؟

ربما يظن البعض بعد هذا الفيض المتصل من الكلمات التى يقراونها فى الصحف أن توفيق الحكيم كان ولم يكن له اعداء ، الا اعداؤه السياسيون من حملة الأقمصة او الأقنعة .. ولكن الحقيقة ان هناك من بين ادبائنا المشهورين من كانوا يتمنون زوال الحكيم أو غيابه عن المسرح مبكرا .

فقد سبقهم وعرف الناس انه سبقهم .. ولهذا لم يكن من السهل عليهم ان يدعوا متلا .. انهم رواد المسرح مهما يكن لهم فيه من باع وشهرة على أساس

دار الكتب www.dar-alkotob.com

أو على غير أساس ، وقد فعل هـذا فى آداب، كثيرة .. ربما (أعطى) وجود الحكيم المسرح حماية من الافتئات عليه كما حدث للقصة القصيرة وللرواية ولأشكال اخرى من الأدب .

القدرة على الاستماع :

احتفظ الحكيم حتى أخريات ايامه بالقدرة على الاستماع ، وكان رحمه الله قد اصاب من نعمة السمع ما حفظ عليه هـذه النعمة الى اخريات حياته .. وربما كان هذا التوافق صورة اخرى من صور تميز الحكيم على اقرانه جميعا .. فقد كان الحكيم متواضعا وصبورا ورغم انه كان يعلم تمام العلم أن الاحتمال الغالب هو انه لن يسمع من محدثه جديدا لا يعلمه ولا طريقا يثير فكره فقد استطاع الحكيم أن يوطن نفسه على أن يسمع وان يسمع كثيرا ، وقد يعجب المرء من هـذا الخلق اذا لم يدرك حقيقة أن الحكيم كان يحب دوما ان يعرف ماذا يشغل بال الناس .. وكيف يتكلم الناس .. ولعل هذا هو السر الذى لم يجعل الحكيم ينفصل أبدا عن مجتمعه ولا عن جمهوره طيلة ستين عاما أو يزيد .

***

توفيق الحكيم والرسميات :

لم يكن الحكيم عازفا عن الاجتماعات الرسمية او الثقافية عزوف يأس كما هو متوقع واذكر انه كان

www.dar-alkotob.com دار الكتب

يدعو لجنة من لجان المجلس الأعلى للثقافة الى الاجتماع في مكتبه في السنوات الأخيرة ، ويأتى الأعضاء في ضيافة الحكيم .. ولكن الحكيم كان يتضايق كثيرا من الخطب الرنانة .. ومن الكلام المعاد .. وكان يود دوما لو تم الاجتماع حول نقاط محددة كما يحدث في الخارج وكان كثيرا ما يجهز هذه النقاط . وكان الحكيم على استعداد دائم للنصح والمشورة مع انه في قرارة نفسه كان يشعر بالأسى من اننا نتخلف وبخطوات واسعة !!

حقيقة الصفات المشهورة عنه :

ربما لا يتم الحديث عن شخصية توفيق الحكيم من دون الاشارة الى بعض الأخلاق التى صمم الرجل ان يصف نفسه بها ... من بخل ومن عداوة للمراة ... الخ » .

والحقيقة التى لاشك فيها ان الحكيم كان كريما جدا ، ولم اجد فيمن عرفت من أقرانه (في الأدب او العمر او المكانة الاجتماعية » من هو أكرم منه حقيقة . والحقيقة ان كرمه كان تلقائيا .. وحاتميا في بعض الأحيان .

ولكن بخل الحكيم كان صورة من صور الثقة في الكرم تماما كالتواضع الشديد عند أصحاب العظمة الحقيقية والموهبة التى لا تدانيها موهبة .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

وكانت السيدة بنت الشاطىء (على سبيل المثال) قبل ان تجلس الى مقعدها فى صالونه تنادى طالبة قهوتها .. ثم هى لا تجد الا السعادة فى حديثها عن بخل الحكيم المزعوم .

ولكن « بخل الحكيم » الذى اشتهر عنه كان ملجأ من ملاجىء الحكيم للخلاص من كثير من المواقف التى يكون ثمن الصداقة فيها غير متناسب مع روحها .

***

زواج توفيق الحكيم :

تأخر الحكيم فى زواجه ، ربما شغله الفكر الحق الذى كان يستغرق وقته فى النهار والليل ، ربما كان بطبيعة الحياء التى سيطرت عليه اميل الى الوحدة ، وكانت والدته على نحو ما روى — لا تفتأ تحثه على الزواج ، وتختار له الفتاة تلو الفتاة ، ومن الطف ما يحكى ان الحكيم ذهب لمشاهدة احدى هاتيك الفتيات — عن بعد طبعا — فى محل (بنزايون مثلا) فى مدينة .. وكانت ابنة أحد كبار اثرياء مصر كلها .. فاذا هو يعرض عن التأمل فيها بحكم ما فيه من خلق .

فاذا احدى قريباتها او من صحبتها تعلق فى استنكار .. ما هذا الذى يفعله ؟! الا يعرف أن فى انتظارها فى مصر دكتور فى الجامعة ؟ .. وقد كان ،

دار الكتب www.dar-alkotob.com

وخطبت هـذه الفتاة لأستاذ جامعى مرموق من علمائنا المعدودين ، عليه رحمة الله ، وقد تصـادف أن صادق الحكيم بعد ذلك .

وكان الحكيم يروى لى هذه القصة بعد أن سألته عن هـذا الأسـتاذ ، ويقول فى تواضـع شديد .. ان هؤلاء الأقـارب (فى هـذا الزمن) كانوا يظنون (على عادة الريفيين) أن وكيل النيابـة (الذى هو الحكيم) أعظـم من أسـتاذ الجامعـة .. وكان يردف مفسرا . « ذلك أن السـبب هو اعتقـادهم فى قـدرة وكيـل النيابة على حبسهم ، وهى السلطة التى لا يتمتع بهـا استاذ الجامعة » .

* * *

ثم ان الحكيم تزوج سـيدة من اعظم السيدات ، وكان لها ابناء من قبله فاذا بالحكيم يحنو عليهم ويرعاهم رعاية كريمـة لا يعرف أحد من شأنها شيئا ، لأنه كان فى هذا الصـدد رجلا عظيما .. واصيلا وشهما بكل ما تعنى هذه الكلمات من معان .

وكان شقيق زوجته هو المرحوم الأستاذ الدكتور محمد لطفى بيومى العميد المؤسس لكلية طب طنـطا ، ونائب رئيس جامعة الاسكندرية الأسبق .

دار الكتب www.dar-alkotob.com

وكان للحكيم نفسه فروع كثيرة من العائلة وصلت الى مناصب مرموقة ، ولكن الحكيم وهو البار رحمه الله لم يكن يحرص على اظهار نفسه محوطا بهم فى اى وقت .

كان الحكيم فى هذه الناحية من الذين اتسعت مداركهم الانسانية لتشمل الانسانية كلها بصلة الرحم .

* * *

موقفه من المراة :

اشتهر الحكيم بعداوة المراة كما اشتهر بالبخل ، وفى كلا الخصلتين كان توفيق الحكيم على النقيض تماما ، فقد كان من اكثر الناس كرما وحدبا على المراة وحبا لها .. وقد شهدت له بذلك اقلام السيدات قبل الرجال انما كان الحكيم فى هذين الخلقين المزعومين (البخل وعداوة المراة » خير صورة للرجل الذى يبلغ قمة العظمة فاذا هو متواضع .. وقد بلغ الحكيم قمة حبه المراة ، وحب الكرم ، حتى انه لم يعد بحاجة الى مجرد الضجر البسيط من سماع اللغط حول هذين الخلقين .

والدلائل على ما اقول كثيرة ، ولو كان الحكيم بخيلا حقا لضجر من هذا الوصف بالبخل ، ولو كان

دار الكتب www.dar-alkotob.com

بخيلا حقا لما حرص على اداء ما عليه من حقوق او واجبات للناس .. اذكر فى هذه المناسبة ان كان لى الشرف فى صيف ١٩٨٣ ان أزور الدكتور حسين فوزى فى شقته فى باريس ، وقد وجدت عنده (كنبة) فى منتهى الأناقة تتحول بلمسة بسيطة جدا الى سرير أنيق جدا .. ولم يمهلنى الدكتور فوزى وقتا طويلا حتى قص على ان الحكيم عندما زاره (العام الماضى » اصر على أن يشترى هذه الكنبة فى مقابل قضائه الفترة البسيطة جدا التى قضاها فى باريس ضيفا على الدكتور فوزى فى شقته هذه .. ولكنه مع ذلك رحمه الله حول القصة الى ابداعات اخرى على نحو ما روى الأستاذ يوسف جوهر فى مقال هو من اعظم المقالات التى كتبت عن الحكيم .. فجعل هذه الكنبة كمسمار جحا ، وجعل لنفسه اجرة يقتضيها ممن ينامون على هذه الكنبة ... وربما كنت الوحيد الذى نال هذا الشرف العظيم . وعدت الى إديبنا الكبير فاذا هو سعيد سعادة الكريم ، واذا هو يعقب بان ادفع الحساب للدكتور فوزى وليس له لأن للدكتور فوزى نصف هذه الكنبة فضلا عن وجودها فى شقته .

* * *

دار الكتب www.dar-alkotob.com

كان كريما على نفسه :

كان توفيق الحكيم اكرم من عرفت على نفسه .. كان مترفعا جدا عن كل شيء ، وربما كان هذا السبب وراء اصراره دائما على البدء بتحديد (الأجر) عند التعاقد معه على مقالات او اعمال فنية فبهذه الطريقة وحدها كان يمكن للحكيم ان يحفظ لنفسه عزتها من الظنون (البشرية) الخبيثة بانه ينتظر كذا ... او كذا ، وحين تعاقد أنيس منصور مع توفيق الحكيم فى حفلة الهيلتون (التى اعقبت الجلسة الأولى للمجلس الأعلى للثقافة عند تشكيله فى اول صيف عام ١٩٨٠) على كتابة مقال اسبوعى مقابل مائة جنيه ، كان ذلك التعاقد على مائدة الغداء امام جارهما فى المائدة وكان الشيخ عبد المنعم النمر والسيدة سميحة ايوب .. وقد اخذت المسألة وقتا تعالت فيه ضحكاتهم جميعا مما اسمع الجالسين على الموائد المجاورة .. مما دفعنى بالطبع الى سؤاله عن سر هذا الحوار الضاحك .. وكنت اظن يومها ان مثل هذا الحوار سيكون من الأسرار التى حظيت بمعرفتها ، فاذا بالحكيم نفسه يكتب تفاصيل الاتفاق ويذيعها على الناس جميعا ، فى اول مقال يكتبه تنفيذا لهذا الاتفاق .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

ماذا نفتقد من توفيق الحكيم :

وبعد فماذا نفتقد من شخص الحكيم ؟ انى لأتأمل كل ما كان فى هذا الرجل العظيم وأعود الى التأمل مرة بعد اخرى .. فتتالى الصفات المحببة الى النفس .. لاشك اننا نفتقد : اللفظ البرىء ، والابتسامة الحانية ، والوجه الصبوح ، والصوت الهادىء ، والتردد المؤكد ، والضحكة المجلجلة ، والدعابة الجميلة ، والطيبة التلقائية ، والشك الجميل ، والتشكك المثير ، الملاحظة الذكية ، والنظرة اللماحة ، والحديث الطلى ، والجاذبية المؤثرة ، والطلعة المشرقة ، فعليك رحمة الله يا أديب العربية الكبير .

دار الكتب www.dar-alkotob.com

الباب الثاني

توفيق الحكيم مفكرا

www.dar-alkotob.com دار الكتب

دار الكتب www.dar-alkotob.com

توفيق الحكيم مفكرا

كانت الحكمة ضالته :

كان الحكيم واحدا من اولئك الذين يصدق عليهم قول النبى فيما ما معناه أن الحكمة ضالة المؤمن يبحث عنها فى كل مكان .. لهذا كان الحكيم لا يمانع فى أن يغالب نفسه حتى تستمع الى كل ما يقابلها وتتأمل فيه .. وهو لهذا لاينى عن تثقيف نفسه ، بالسؤال عن المستحدثات الحضارية التى كانت تلاحقه كما تلاحقه الناس ، وهكذا كان شأنه فى تكوينه لفكره ، بناه على اسس متينة وقوية ومتعمقة من الثقافة العريضة الواسعة والراقية، ثم هو يبذل كل يوم جهده فى الاضافة اليه والرقى به .

دار الكتب www.dar-alkotob.com

القدرة على صياغة الفكر فى بساطة :

كان توفيق الحكيم قادرا على صياغة التعريفات المبسطة المعبرة ، ولم يكن من الذين يظهرون القدرة على استعمال القواميس وايراد المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى رغم أنه كان يفعل ذلك فى كل شاردة وواردة، ولكن فيما بينه وبين نفسه ، ثم اذا هو بعد ذلك يصوغ تعريفا مبسطا يدخل به الى القارىء مباشرة .

الأديب يتغلب على الفيلسوف :

ولم يكن مولعا بعد هذا باظهار دقة التعريف ونفى ما لا يندرج تحته وحصر ما يندرج تحته ، حتى يكون التعريف الذى يورده جامعا مانعا كما يقولون ... وانما هو فنان ، يعرض الزهرة على القارىء ان شاء استمتع بها وان شاء لم يستمع .

الانتصار على النفس :

هكذا كان الحكيم متعاليا على نفسه الأمارة ـ ككل نفس ـ بالتعالى على قرائها ، ولهذا استطاع الحكيم أن ينتشر انتشارا واسعا بما كتب الى أن جاء زمن استغنى فيه جمهور كبير عن القراءة فلم يعرفوا توفيق الحكيم .

دار الكتب www.dar-alkotob.com

تعريف الفكر عند توفيق الحكيم :

يقول توفيق الحكيم فى تعريفه للفكر (فى الكلمة التى وضعتها الأهرام على رأس صفحة الفكر فى ملحقها الأسبوعى) ان كلمة الفكر تعنى تأمل الأشياء بالعقل للوصول الى المعرفة .. ومن يمارس ذلك نطلق عليه وصف « المفكر » .

هكذا يستطيع الحكيم بصادق حسه وعميق ثقافته ان يعطى مفهوما ممتازا للفكر .. فالمعرفة هى الهدف .. والعقل هو الوسيلة ، والأشياء هى مدار التفكير .

المفهوم العريض للفكر :

توفيق الحكيم اذن يبتعد عن المفهوم الضيق للفكر الذى يجعله قريبا فى معناه من الأسلوب ويبتعد عن المفهوم المتعالى للفكر الذى يلتزم بالمنهج والطريقة والدراسة ... الخ .

ويبتعد عن المفهوم المذهبى للفكر الذى يقيد الدائرة التى يعمل فيها المفكر .

وهكذا كان توفيق الحكيم المفكر .. يتأمل الأشياء بالعقل بكل ما فى العقل من خبرات وحقيقة وقدرات وتجارب ليصل الى المعرفة .

دار الكتب www.dar-alkotob.com

وهو نفسه يستأنف كلامه السابق فيقول ان المفكر وصف واسع شامل لأنماط عديدة من الناس ، فالفيلسوف مفكر والعالم مفكر والأديب مفكر والفنان مفكر والمخترع والمهنى ...

يتسع توفيق الحكيم بوصف المفكر ليشمل به كل ما يمكنه أن يشمل من الناس .. فماذا بقى للفكر اذن من خاصية ؟؟

ان المسألة ليست هكذا عامة معممة انما ينبهنا توفيق الحكيم بذكاء شديد الى أن كثيرين « ايضا » يؤدون عملهم بغير ذلك النوع من الفكر الذى نخص به من نطلق عليه اسم المفكر ، هؤلاء وهم الأغلبية الغالبة يؤدون اعمالهم بتفكير مسبق صنعه لهم المفكر ورسمه لهم ، وشق لهم طريقه فساروا فيه دون تأمل أو مناقشة » .

* * *

ريادة الفكر :

توفيق الحكيم اذن من الذين يؤمنون بالدور الريادى للفكر فى مجتمعه وهو لا يدعو الى هذا الدور فحسب ، ولكنه يلفت انظارنا الى وجوده ، رضينا أم أبينا .

دار الكتب www.dar-alkotob.com

ميكانيكية الفكر :

ولكننا بعد هذا امام اشكالية جديدة .. فهل كان الحكيم يرى العملية الريادية للمفكر مجرد دور ميكانيكى تضطره اليه الحياة ؟ ربما كانت ابلغ اجابة على مثل هذا التساؤل قول توفيق الحكيم نفسه :

« ولقد قلت ذات يوم ان مهمة المفكر الحق ليست فى توجيه الرأى العام ، بل فى خلق الراى العام .. لأن التوجيه معناه الدفع والفرض والسيطرة .. وفى هذا التوجيه من المفكر انتصار لرايه ، ولكنه فى ذات الوقت خذلان لآراء اخرى جديرة بالنظر . ان المفكر فى نظرى رجل تكوين وتربية وخلق لا رجل سيطرة وانتظار فهو لا يجب أن يلبسك رأيه ، بل يجب ان يخلق فيك رأيك » .

هكذا تتضح لنا رؤية الحكيم « التاملية » لدور المفكر « التأملى » فى حمل الناس على التأمل او التفكير . ولكن الحكيم نفسه لا يمضى فى الشوط الى نهايته فهو ينبه نفسه الى ان اغلب الناس لا يستطيعون ولا يريدون ان يكون لهم راى .

* * *

دار الكتب www.dar-alkotob.com

صـــناعة الآراء :

هكذا وضع توفيق الحكيم يده وايدينا على مشكلة الحضارة الحديثة التى تجعل الناس (فى معظمهم) يستسهلون الآراء التى تصنع لهم صنعا بحيث اصبح الناس (كمـا عبر الحكيم عن آراء معاصريـه) يطلبون الآراء المصنوعة كما تطلب السيارات والملبوسات .

ولن ينجو الناس من هذه الطامة الا اذا أدركوا اهمية وجود نوع من المفكرين (لا يطلق عليـه الحـكيم وصف المفكر الحر كما تعتاد الأقلام .. وانما هو يسميه المفكر المحرر) يذكرون الناس دائما بان يفحصوا ويحللوا ويناقشوا ما يقدم لهم من ملبوسات الآراء الجاهزة .. ومصنوعات الشعار الموضوعية .

* * *

الفكر والعمل فى السياسة :

ربما كانت هذه الأفكار التى سقناها فى الفقرات السابقة عن مفهوم الفكر عند توفيق الحكيم خير معين لنا على تفهم فلسفة الحكيم فى موضـــوع « السياسة بين الفكر والعمل » فالحكيم على لسان البيريه (فى محاورة بين البيريه والعصا والحمار) يبسط سر العلاقة بين الفكر السياسى ، والعمل السياسى ، على نحو أن القضية عند الاثنين (رجل الفكر ورجل السياسة) واحدة .. هى

دار الكتب www.dar-alkotob.com

العدالة والحقيقة لكن المفكر ينظر الى القضية من زاوية القاضى .. والسياسى ينظر اليها من زاوية المحامى ..

يؤكد الحكيم هذا المعنى على لسان العصا بقوله : حقا .. ان القضية عند القاضى هى البحث عن الحقيقة .. والقضية عند المحامى هى الدفاع عما يراه هو الحقيقة .

ويستمر الحكيم فى تبيان هذا المعنى بعبارات أخرى ينطقها الحوار ..

« والبحث موضع حيرة وتناقض ولذلك قد يكون راى القاضى فى الابتدائى غيره فى الاستئناف او النقض ، أما المحامى فرايه ثابت ، وخطه محدد فى كل المراحل كذلك الفكر فهو عرضة للتغيير ، اما العمل فهو الثبات والتقرير » .

هكذا كان توفيق الحكيم من اكثر المفكرين تقبلا لفكرة تعرض الفكر السياسى للتغيير تماما كما يحدث لراى القاضى الباحث عن الحقيقة .. او تماما كما كان من الحكيم نفسه فى السبعينات .. وربما كان المثل الواضح من رجل الفكر « جوركى » ورجل السياسة « لينين » هو المسيطر على فكر توفيق الحكيم حين ادار هذا الحوار بين البيريه والعصا والحمار ولكننا لايمكن

دار الكتب www.dar-alkotob.com

لنا ان نذكر أن الحكيم كان متأثرا بتجربته قبل أن يتأثر بجوركى ولينين .

***

استحالة اندماج الفكر والعمل :

كان الحكيم يجاهر بالقول انه من المستحيل ان يندمج الفكر والعمل وفى كتابه « التعادلية » يشرح لنا الحكيم السر فى ذلك فيقول ...

« لانهما عندما يندمجان ويتحدان يصبحان شيئا واحدا هو العمل ، ولنضرب مثلا بسيطا : انت تفكر فى السفر الى الريف للنزهة فاذا سافرت بالفعل فقد انقلب تفكيرك الى عمل .. واذا لم تسافر فان الذى حدث هو التفكير : فاذا اندمج التفكير واتحد مع العمل فمعنى ذلك انك سافرت ، اى اصبح الفكر عملا : اى انه لم يعد هناك تفكير وعمل بل عمل فقط . لأن التفكير انتهى .. ابتلع فى جوف العمل » .

ربما عكست لنا تأملات توفيق الحكيم فى هذه الجزئية بعض خصائص فكره فى الحياة عموما ، فالحكيم ليس من انصار « الأبراج العاجية » ولكنه يعرف أن بعض الأفكار التى لا تتحول الى عمل — تبقى أسيرة هذا الأبراج .. والحكيم ايضا ليس من انصار

دار الكتب www.dar-alkotob.com

اضفاء صبغة الفكر (والمذهب بالتبعية) على الأعمال المتحققة لأنه ينظر اليها من باب انها اعمال يجوز عليها ما يجوز مع كل عمل .. وكل عمل لابد ان يسبقه فكر بالضرورة ، وفى موضع آخر (فى أول هذا الباب) نرى أن الحكيم يمتد بالمفكر كمعنى ليشمل كل عمل وكل مهنة .. ولكن المشكلة ان الغالبية العظمى من اصحاب هذه المهن والأعمال لا يفكرون بأنفسهم وانما يفضلون الأفكار الجاهزة .. واذن فهناك من يفكر لهم .

***

الخير والشر .. حتمية وجود الشيطان :

ماذا يكون شأن مثل هذه الأفكار اذا امتددنا بها الى فكر الحكيم نفسه لنرى ماذا صنع الرجل بالأفكار التقليدية حين اعاد التفكير فيها .. لنأخذ مثلا قضية كقضية الخير والشر (او وجود الشيطان) .. نحن نجد أن توفيق الحكيم الأديب الفنان المبدع قد نجح نجاحا منقطع النظير فى التعبير عن المعانى التى تتمثل فى وجود الشيطان الى الحد الذى جعله يصور الشيطان على انه « شهيد » .. وذلك فى قصة « الشهيد » التى نشرها ضمن المجموعة القصصية « ارنى الله » .

فأنت تجد الشيطان فى هذه القصة يذهب الى البابا ثم الى الحاخام ثم الى شيخ الأزهر يرجوهم قبول

دار الكتب www.dar-alkotob.com

توبته ، واعتناق اديانهم ، فلا يوافقون ابدا ، ويدور بينه وبين كل منهم — واحـدا بعد الآخر حوار طويل لا يؤدى الى نتيجة فشيخ الأزهر يقول له ان اختصاصى هو اعلاء كلمـة الاسلام والمحافظة على مجد الأزهر وانه ليس من اختصاصه ان يضـع يده فى يد ابليس .. قبل هذا كان الحاخام اكثر قسوة حيث قال لابليس انه ليس من عـادة رؤساء الدين اليهودى التبشير او الاهتمام بان يدخل الغير فى دينهم ، حتى ولو كان هـذا الغير هو ابليس .. والحكيم الفنان يورد على لسان الحاخام قبل هذا القول الفصـل حديثه الى نفسه حيث يقول لها :

« اذا عفا الله عن ابليس وحمى الشر من الأرض .. ففيم اذن التمييز بين شـعب وشـعب ، بنو اسرائيل شعب الله المختار ، لن يكون بعد اليوم مبرر لاختيارهم دون بقية الشعوب ولا لامتيازهم على بقية الأجناس .. حتى السيطرة المـالية التى صارت اليهم منذ اجيـال ستذهب عنهم بذهـاب الشر عن النفوس .. وزوال الجشع وموت الطمع وفناء الأثرة والحرص والأنانية .. ايمان ابليس سيدك صرح التفوق اليهودى وسيهدم مجد بنى اسرائيل » .

اما البابا فانـه فزع جـدا من ابليس ، وابليس يحاول ان يقول له ان المسيح قد قال « انه هكذا يكون

دار الكتب www.dar-alkotob.com

فرح في السماء بخاطىء واحد يتوب اكثر من تسعة وتسعين بارا لا يحتاجون الى توبة » .

« وهكذا فان المسيح لم يفرق بين شخص وشخص .. ولكن البابا يقول لنفسه : اذا آمن ابليس ففيم اذن بعد اليوم مجد الكنيسة ؟ وما مصير الفاتيكان .. ومتاحفه وتحفه ومخلفاته الدينية الكبرى ؟ كل شيء يفقد معناه وتذهب روعته وتولى مقاصده .

ان ابليس هو محور الكتاب المقدس بعهديه « القديم والجديد » فكيف يمحى ابليس من الوجود دون ان تمحى كل تلك الصور والأساطير والمعانى والمغازى التى تعمر قلوب المؤمنين وتشغل خيالهم ؟ ما معنى « يوم الحساب » اذا محى الشر من الأرض ؟ وهل يحاسب اتباع الشياطين الذين اتبعوه قبل ايمانه ام تمحى سيئاتهم ما دامت توبة ابليس قد قبلت ؟؟

حوار طويل ينتهى فيه البابا الى مخاطبة ابليس بقوله : « اصغ الى يا ... لست ادرى بماذا اناديك ؟ ارايت ؟ » حتى اسمك بعد توبتك سيثير اشكالا .. كلا .. ان الكنيسة ترفض طلبك اذهب اذا شئت الى دين آخر .

***

دار الكتب www.dar-alkotob.com

الشيطان الشهيد :

هكذا يمضى الحكيم فى تصوير موقف الشيطان « اذا اراد ان يغير من مسار حياته » وان يتوب » وان يدخل الى اى من الأديان .. ثم ان هذا الشيطان يذهب الى السماء فينصحه جبريل — هو الآخر — بالعودة الى عمله ، هنا ينفجر ابليس (من الغيظ) ليقول : « انى افعل اكثر من الاحتمال .. ان من يمت فى معركة من أجل الله يكتب عنده من الشهداء ، وانا اتحمل فى سبيله اكثر من الموت ، ليتها كانت معركة ، ليته كان الموت ، ليتنى كنت من جنوده » وترك ابليس السماء مندهشا وهبط الأرض مستسلما وهو يصرخ :

انى شهيد .. انى شهيد

***

فلسفة بلا تفلسف :

تتوالى علينا على هذا النحو النظرات الفلسفية لتوفيق الحكيم ، فهو لا يتفلسف فى كتاب ، ولا يصنع نظرية كاملة او مقالة كاملة فى ايضاح اى موقف من المواقف المعهودة فى عالم الفلسفة او فى علم الفلسفة ، ولكنه يتناول القضايا العامة بروح تأملية — هى كما قدمنا روح الفكر التى تجعله قادرا على ان يصل الى

دار الكتب www.dar-alkotob.com

مواقف (أصيلة) خاصة به وناتجة عن تفكيره الشخصى وان يصوغ بعد ذلك هذه المواقف صياغات ذكية ، فى أعمال فنية ان لم تكن مسرحية فهى حوارية على الأقل أو قصصية مليئة بالحوار الحى الممتاز الذى لا يجيده الا توفيق الحكيم .. او بعبارة اخرى لا يجيده احد آخر مثل توفيق الحكيم .

ارنى الله :

ولعل كتابه « ارنى الله » خير نموذج لهذه القصص الذكية التى تعبر عن فلسفة عميقة متفردة ، تستمد جذورها بالطبع من ايمان قوى ، وعميق بالله ، وتستظل بكل ما فى روح الشرق من عوامل الدفء .

ولهذا فان الحكيم يجعل الحظ مثلا يأخذ صورة موزع البريد الذى يوزع الحظوظ ، وقد جاءت فى رسائل فلا يميز بين الربيع والخريف ولا بين القبيح ولا المليح . ولا يفرز الذى يستحق ممن لا يستحق لأنه لو فعل هذا « لما أتهى شغلا فى يومه » .. وهكذا يعبر الحكيم عن مفهوم جديد للحظ ببساطة شديدة فى تلقائية أشد !!

***

www.dar-alkotob.com دار الكتب

القصص الايمانيـــة :

على هذا النحو أيضا تمضى أفكار الحكيم فى مجموعة أرنى الله التى تضـــم ثمان عشرة قصة ممتعة حقا ومليئة أيضـــا بالفلســفـــة العميقـــة من أمثـــال « ارنى الله » « الشهيد » ، الذى هو الشـــيطان . « موزع البريد » الذى هو الحظ ، « وانـــا الموت » عن محاولة للانتحار ، و « دولة العصافير » « كانت الدنيـــا » « فى سنة مليون » « الاختراع العجيب » « الأسطى عزرائيل » « معجزات وكرامات » « مؤتمر الحب » « امراة غلبت الشـــيطان » « الحبيب المجهول » « فى نخب العصابة » « أســـعد زوجين » « اعتراف القـــاتل » « ميـــلاد فكرة » « وجه الحقيقـــة » .

اهميـــة التفاهـــات :

وفى حـــوار من قصـــة انـــا المـــوت « يتحـــاور الحبيبان ، تسأل العاشقة عشيقها ان كان يشكو من امساك مزمن » فيجيبها نعم : وكيف عرفت ذلك ، وتجهم صاحبهـــا (فليس هـــذا هو التعليق اللائق بتفـــكيره العميق .. ولكنها اسرعت تقول بلطف) :

« اتدرى لمـــاذا تفكر فى الانتحار » هـــذا طبيعى ، انت تصـــعد فى القمم .. الا تلاحظ ان اولئـــك الذين يصعدون الهرم الأكبر يشـــعرون بدوار ويحســـون كأن الأرض تجذبهم وتناديهم ؟

دار الكتب www.dar-alkotob.com

ولولا أيد تسندهم لسقطوا أو القوا بأنفسهم وهم لا يشعرون .. ولكن من المستحيل على من يمشي فوق الأرض أن يشعر بدوار المرتفعات الذى يفرى بالوقوع .. أتدرى ما هو العلاج الناجع لمثل حالتك .. أتدرى ما هو ؟ أن تتعاطى بعض التفاهات ..

وهكذا يستدرجنا الحكيم الى جوهر فلسفته فى أن حياة الانسان لا تسعد فى هذا الكون اذا لم تكن هناك بعض التفاهات .

***

من الذين يؤمنون بالغيب :

كان الحكيم واحدا من الذين يؤمنون بالغيب « فلم يكن من هواة التشكيك فى كلام محدثه ، ولم يكن من الجامدين فى افكارهم ولا الفرحين بمعلوماتهم .. بالاضافة الى انه كان قبل كل ذلك من الذين يحبون الصدق ويؤثرونه فى حياتهم .

كل هذه الصفات الأربع ساعدت هذا الرجل على أن يتقبل بروح ممتازة كل ما هو جديد او مستحدث من دون أن يصدم فى القديم أو فى الجديد .

ولقد كانت سعادتى مضاعفة حين وجدت هذا المعنى فى مقال الأستاذ عبد السلام داود وهو يحكى قصة من قصص الحكيم فى دار اخبار اليوم فى الأربعينات مع

دار الكتب www.dar-alkotob.com

المغفور له كامل الشناوى ، وقد روى الأستاذ عبد السلام داود المعنى بدون تفلسف ظاهر ولا باطن ، فكان مقاله من اروع المقالات التى كتبت عن توفيق الحكيم .. ربما لأنه لم يفقد التواضع وهو يكتبه .

فقد قال الحكيم يومها — على ما يروى الأستاذ عبد السلام داود — بعد أن ضحكوا جميعا من انخداع الحكيم وتصديقه امرا غير حقيقى رواه كامل الشناوى :

« اذا كنتم تضحكون لأنى صدقت فهذا فى الواقع امر يحسب لى لا على فالواجب على الانسان ان يفتح عقله لكل جديد ولو كان يستنكره ، ولو رفض الناس تقبل الجديد المثير الغريب لتوقف العالم عن التقدم » .

هل عرفنا الآن لماذا لم يكن الحكيم يتوقف عن التقدم حتى ولو كانت قد اتيحت له مائة سنة اخرى من العمر ؟؟

***

عميق الايمان :

كان توفيق الحكيم مؤمنا عميق الايمان ، ولربما كان من سوء حظ جيل الطلائع اليوم انهم فوجئوا بصورة له مخالفة تماما رسمتها الصحافة فى معركة مفتعلة بينه وبين الشيخ الشعراوى ... ربما عن سوء قصد ،

www.dar-alkotob.com دار الكتب

أو عن ضيق أفق صحفيين صغار من الجيل الجديد الذى لم يتح له ان يقرا ... وتسارعت الاجابات الى الحد الذى اصبح من العسير على اى مفكر مستنير ان يقف ليقول « ان المسيح لا يستحق الصلب » ... وكانت مأساة هذه المعركة انها وضعت مجتمعنا كله فى الخانة التى يوضع فيها اصحاب الرؤى المتعجلة حتى وان كانت سوابا ، الفكر الضيق حتى وان كان سليم النية . ولم يكن فى وسع الحكيم ان يفعل شيئا بعد ان تجاوزت الأمور الحدود حتى على الشيخ الشعراوى نفسه .. وانتهت المسألة بابراز أخبار صلح (ملفق) بين رجلين لم يكونا خصمين ..

وحين حاول صحفى شاب فى اخبار اليوم كان مسئولا عن الصفحة الدينية فيها ان يتدارك الأمر وان ينبه المجتمع الى خطورة ما فعل المجتمع بنفسه كان الأمر قد ذهب بعيدا بعيدا جدا .

وفى مقابل هذه المأساة فقد انتبه كل المستنيرين فى مصر الى خطورة ترك مسائل الراى فى ايدى بعض من تنقصهم الكفاية للحكم على الأمور .

وبدات كل الصحف تعيد النظر ــ بطريقة لاواعية ــ فى اسلوب تولية غير المتخصصين صفحات الراى والفكر والدين ايضا .

دار الكتب www.dar-alkotob.com

فكرة الجيل الجديد عن الحكيم :

ومن أكثر الأمور مدعاة للأسف فى فكر الجيل الجديد (الذى اضطرته الحياة الى الاكتفاء بمشاهدة التليفزيون وحسبان الثقافة تنتهى عند هذا المصدر) أن تجد الشباب لا يعرفون لتوفيق الحكيم قدره فى مجال الفكر .. ربما كان من اسباب هذا ان طائفة الأدباء المسيطرين منذ السبعينات على وسائل الاعلام اقنعوا الشباب (بطريقة لاواعية) أن الأدب هو المسرحية أو القصة أو الشعر .. اما الفكر العميق الذى يهتدى به الناس الى حقائق الحياة والتاريخ فهو امر قد عفا عليه الزمن ، حلت محله مقالات واعمدة لا هم لها الا الانضمام الى ابواق الاعلام (على اختلاف اهدافه) فحسب .

***

ومن العجيب ان تسمع من شباب (متدين) ان توفيق الحكيم هذا ليس له علاقة بالاسلام لا من قريب ولا من بعيد ، ولا يعرفون لهذا الرجل فضله السابق فى اعمال فكرية كثيرة خصص موضوعها للاسلام ، فضلا عن ما فى اعماله الأدبية التى حفلت بقيم الاسلام ومعانيه الجليلة فى كل جزئياتها .

دار الكتب www.dar-alkotob.com

الحكيم وموقف فولتير من الرسول (صلعم) :

ولنأخذ مثلا موقف توفيق الحكيم من فولتير ، فتوفيق الحكيم ينزل بفولتير عن مرتبة المفكرين الأحرار بسبب موقفه من الاسلام ومن النبى محمد ، وهو موقف واضح صريح لم يتنازل عنه توفيق الحكيم ولم يتراجع بل نشره منذ فترة طويلة (منذ ٤٩ عاما بالتحديد) فى كتابه « تحت شمس الفكر » وفى أول هذا الكتاب .

ربما لا نعرف عن فولتير الا انه اديب فرنسى ، ولكن ماذا فعل هذا الأديب الفرنسى البارز وماذا كتب فى ادبه ضد الاسلام وضد النبى .. هذا هو ما سنترك توفيق الحكيم نفس يحدثنا عنه تحت عنوان « الدفاع عن الاسلام » فى ثانى فصول كتابه « تحت شمس الفكر » الذى صدرت طبعته الأولى عام ١٩٣٨ .

سقوط فولتير :

فالحكيم يقول انه عجب اشد العجب للسب الذى سب به فولتير النبى صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يعجب فقد رأى فولتير يهدى كتابه الى البابا بنوا الرابع عشر بالعبارات التالية :

« فلتستغفر قداستك لعبد خاضع .. اذ تجرا

دار الكتب www.dar-alkotob.com

أقدم الى رئيس الديانة الحقيقية ما كتبه ضد مؤسس ديانة كاذبة بربرية ، ... فلتأذن لى قداستك فى ان أضع عند قدميك الكتاب ومؤلفه ، وان اجرؤ على سؤالك الحماية والبركة وانى مع الاجلال العميق أجثو واقبل قدميك القديسيتين » .

فولتير

١٧ اغسطس ١٧٤٥

***

روسو يتجاهل :

قال الحكيم انه بحث فى كتابات روسو (وكان ينقد « مؤلفات فولتير » عما يرد الحق الى نصابه . « فلم أر هذا المفكر الحر ايضا يدافع عن « محمد » ما الصق به كذبا وكأن الأمر لا يعنيه ، وكأن ما قيل فى هذا النبى لا غبار عليه ولا حرج فيه ولم يتعرض للقصة الا من حيث هى أدب وفن » .

يشير الحكيم ايضا الى ان رد البابا لم يكن ردا رقيقا كيسا لا يشير بكلمة واحدة الى الدين .

فجيعة الحكيم فى مفكر حر :

ويحدثنا الحكيم أنه من ذلك اليوم وهو يحس

دار الكتب www.dar-alkotob.com

كأنما فجع فى شىء عزيز لديه هو الايمان بنزاهة الفكر الحر ..

« ولقد كنت أحيانا التمس الاعذار لفولتير ، وازعم انه استند الى علم خاطىء بأخبار النبى ولكن كتابه الى البابا يتهمه اتهاما صارخا ولايدع مجالا للشك فى دخيلة امره » .

« فما باله عندما عرض لذكر محمد والاسلام كتب شيئا هو التعصب بعينه ، تعصب لدينه ، ذهب فيه الى حد السجود وتقبيل الأقدام لا لرب العزة والخلق بل لبشر هو رئيس الكنيسة التى ما ارى ان فولتير كان فى ذات يوم من خدامها المخلصين .

هى الاطماع التى كانت تدفع « فولتير » فيما ارى الى التمسح باعتاب الملوك والبابوات ولقد يقدم ثمنا لذلك افكاره الحرة احيانا » .

منذ ذلك الحين .. وفولتير عندى متهم ولن ابرئه ابدا ولن أعده ابدا من بين اولئك العظام الذين عاشوا بالفكر وحده للفكر وحده .

***

دار الكتب www.dar-alkotob.com

هانوتو والامام محمد عبده :

ويحدثنا الحكيم عن افتراءات الأوربيين من امثال هانوتو على الاسلام ويترجم لنا عبارات مما كتب المسيو كيمون فى كتابه (باثولوجيا الاسلام) وكلمة باثولوجيا تعنى علم الأمراض .. أى المرض الذى هو الاسلام حيث يقول كيمون :

« ان الديانة المحمدية جذام نشأ بين الناس واخذ يفتك بهم فتكا ذريعا وما هى الا مرض مروع ، وشلل عام، وجنون ذهولى يبعث الانسان على الخمول والكسل ولا يوقظه منها الا ليسفك الدماء ويدمن معاقرة الخمور .. و .. » .

« وما قبر محمد فى (مكة) (لاحظ المغالطات التاريخية والجهل ... جوادى) الا عمود كهربائى يبعث الجنون فى رؤوس المسلمين ويلجئهم الى الاتيان بمظاهر الصرع « الهستريا » العام ، والذهول العقلى ، وتكرار لفظ « الله » الى مالانهاية ، ... الخ هذه الأقوال التى يفندها توفيق الحكيم فى « تحت شمس الفكر » .

***

آن للغرب ان يحترم عقائد الشرق :

وفى رده على هذه الترهات فان الحكيم ينقل بعض عبارات للشيخ محمد عبده ثم يعقب ببعض ردود له

دار الكتب www.dar-alkotob.com

نستشف منها مدى حرص هـذا المفكر العظيم على دينه واهل دينـه :

« نعم .. لقد آن للغرب أن يحترم عقائد الشرق .. بل لقد آن للغرب ان يدرك ان محمدا والاسـلام هما من منابع الفكر الحر وطفرة من طفرات البشرية المتحررة .. والدليل على ذلك شخصـية النبى ذاتها وغرضـه فى الدعوة الى دين جوهره اقناع النفس الحقيقية » ويقرر توفيق الحكيم فى قوة ان محمدا هو :

« اول نبى مجد البشرية بأن اعلن انه بشر ، وان دينه هو دين الفطرة البشرية ، وانه قاوم اولئك السـفهاء الذين كانوا يطلبون الى الأنبياء ان يثبتوا نبوتهم بالمعجزات فأتموا فى (حق » الفكر البشرى ، قبل ان يأتموا فى حق الدين .

ويستشهد الحكيم بكثير مما ورد فى كتب السيرة على ان النبى لم يكن ابدا الا من انصار الحق ، والفكر الحـر .

***

فهم حقيقة النبوة :

« ان محمدا قد فهم حقيقة النبوة ، ووعى معنى الحقيقة العليـا وادرك ان اكبر معجزة فى هـذا الكون الا يكون فى الكون معجزات ، وان كل شىء يسير طبقـا

دار الكتب www.dar-alkotob.com

لنظام دقيق واذا قيل نظـام قيل قانون ، واذا قيل قانون قيل عقل مدبر ، هـذا العقل واحد تبدو سمته فى ادارة الأجسام غير المحدودة فى العظم ... كما تبدو فى ادارة الأجسـام غير المحدودة فى الصغر ، ذات اليد العلوية وعين اثرها فى كل شيء .. واحدة لا تتغير » .

وتوفيق الحكيم اذن مسلم وموحد اصيل حريص على أن يثبت من تقدير غير المسلمين لحقيقة الاسـلام التى لمسها هو لأنه مسلم حقيقى . ولم يكن مسلما لمجرد الانتماء الذى جاءه من باب النسب . وفى فكر توفيق الحكيم تتمثل روافد كثيرة لعقيدته الاسـلامية فى أكثر من جوهر فى الايمـان المطلق بالقدرة الالهيـة والعدل الآلهى ، فى الايمان باهمية وقيمة الانسـان فى هذا الكون الذى هو من خلق اله قادر متحكم ، وفى الايمان برسـول هو نموذج لـكل القيم الانسـانيـة المثاليـة ... الخ » ...

***

الاسـلام والتعادلية :

وفى عام ١٩٨٣ نشر توفيق الحكيم كتابه « التعادلية مع الاسـلام والتعادلية » وكان قد نشر الطبعة الأولى منه عام ١٩٥٥ بعنوان « التعادلية » .

فى مقدمة هذا الكتاب يذكر لنا توفيق الحكيم أن الكتاب نفسه ليس « الا اجابة عن سؤال ... اجـابة

www.dar-alkotob.com دار الكتب

موجزة من سؤال مهم وجهه الى قارىء جاد » هـذا السؤال هو ما هو مذهبك فى الحياة والفن ؟

ومع أن الحكيم كان دائم التصريح بانه يكره الفن الذى يبنى على مذهب .. الا انه لم يجد حرجا فى ان يجعل مذهبه فى الفن هو التعادلية .

ثم اذا هو يجعل مذهبه فى الحياة أيضا هو التعادلية ثم اذا هو يكتشف أن فى الاسلام تعادلية واضحة جدا .

هل يمكن أن نصف رجلا سار على هـذا النحو بانه ليس من الاسلام فى شيء .. ؟

اما كان الأحرى ان نقول انه ليس من المتـاجرة بالاسلام فى شيء ..

وفى ص ١٨٣ من كتابـه الاسـلام والتعادلية يقول « ثم وصلت الى ١٩٨٢ فوجدت أن دينى وهو الاسـلام وهو جزء من النظـام الكونى قائم على التعادلية ورايت أن ما يمكن جعلهأساسا لفلسفة عربية اسـلامية هو ما نشأ من عقيدتنا التى تقول للانسـان ان عليـه أن يعيش فى عالمين : اى أن « يعيش فى الدنيـا كأنه يعيش أبدا ويعيش للآخرة كأنه يموت غدا » .

وهذا يقتضى من هذه الفلسفة ان تدرس الحيـاة الدنيا جيدا ، وتحاول أن تعرف ما تستطيع معرفته عن

www.dar-alkotob.com دار الكتب

الحياة الأخرى ، ولكنا مع الأسف لم نحاول دراسة الحياة الدنيا لنعايش الحياة الأخرى فى تعادل منتج فخشينا مواجهة العصر ، فتخلفنا عنه .

***

منشأ الشريعة الاسلامية :

ثم يقول الحكيم :

« ونحن اليوم بصدد تقنين الفقه الاسلامى ، وجعل الشريعة الاسلامية اساسا للتشريع فمن الواجب ان نعرف منشأ هذه الشريعة فى المجتمع الذى ظهرت فيه لأول مرة ، والمسار التى سلكته هذه الأحكام الشرعية من مبدأ العمل بها الى ما انتهت اليه اليوم ، وهل زالت هذه الأحكام كلها تماما فى مجتمعنا الحاضر أم بقى منها شىء .

« ففى القانون المدنى الذى نطبقه اليوم ، ماذا يتفق مع الشريعة فيه وماذا يختلف ، وفى القانون الجنائى : ماذا اخذ ؟ وماذا اهمل ؟ كل ذلك لابد فيه من احصاء « يقصد مراجعة » دقيق واضح تحت نظرنا حتى يجرى الكلام فيه على اساس العلم اليقينى بالأمانة العلمية التى كان يعرفها ويمارسها السلف الصالح فى عصور الاسلام الزاهرة » .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

هكذا كان الحكيم دائما يرسم فى كتاباته الفكرية طريق الموازنة بين الأفكار المتعارضة للافادة من التعادلية » .

***

قيام فلسفة اسلامية حقيقية :

ولهذا فان الحكيم يصرح بقوله « ان رجال الدين فى عصرنا الحاضر اصبحوا لا يجرؤون على ما كان يفعله النبى نفسه » .

ولهذا ايضا فان توفيق الحكيم يدعو الى قيام فلسفة اسلامية حقيقية الاسلام .لأن كل فلسفة لايمكن أن تقام الا ككل بنيان : حجر فوق حجر ، ومجهودات فوق مجهودات .. ولهذا فلابد أن يقوم بناء الفلسفة الاسلامية على اساس الحياة فى عالمين : الدنيا والآخرة ويجب أن تكون قضايا الدنيا قد تعمق فى دراستها رجال دين ودنيا ، أى رجال متبحرون فى علوم الدنيا الى جانب تفقههم فى علوم الآخرة ، وفلاسفة متعمقون فى شئون الآخرة وبالتعادل بين الحياتين تنشأ الفلسفة الاسلامية » .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

تأمـل الطبيعـة :

ونعود الى الحكيم وهو يحدثنا عن حياة محمد فى غار حراء ايام عزلته الطويلة ، وكيف تأمل الطبيعة ، وفكر مليا فى نظامها العجيب فكشف عن بصـيرته وبصره فامتلأ قلبه بالله الواحد ، كما اقتنع عقله بوجوده فجاء دينه دينا كاملا ، صادقا فى نظر القلب والعقل معا .

« ولئن كان على الأرض نبى حريص على ان يجاهر بمحبة العلم ومصادقته ، ولم يخش دينه العلم ، ولم يضطهد العلم فهو محمد الذى قال :

« فضل العلم خير من فضل العبادة » ... الخ .

***

ايمـان اينشـتين :

ويروى الحكيم ما قرأه لاينشتين من قوله « انه يؤمن بتلك الديـانة التى تمـلأ قلب كل عـالم انقطـع للتأمل » ...

« ذلك التناسـق العجيب بين قوانين الطبيعـة وما يخفى من عقل جبار لو اجتمعت كل افكار البشر الى جانبه لمـا كونت غير شعاع صئيل ، اقر بالقول فيه انه لا شىء » .

يقول الحكيم انه لا ريب عندى ان احساس اينشتين

www.dar-alkotob.com دار الكتب

نحو الكون والله هو عين احساس محمد يوم كان يتحنث فى غار حراء قبل نزول الوحى .

ويروى الحكيم :

« انى كلما تأملت شخصية محمد مجردة ، زاد ايمانى بأن الخصومة المعروفة بين العلم والدين ليس لها فى الحقيقة وجود وان الدين الحق لا يتعارض والعلم والحق » .

بل ان الدين والعلم شىء واحد كلاهما يطلب نور الله ويريد وجهه وكلاهما يعى ويؤمن ويلهج بتناسق الوجود ، ووحدة قوانينه ، ودلالة وحدة الوجود على وحدة الخالق .

***

الحديث النبوى فى كتابات الحكيم :

بقيت نقطة لا اظن ان مثل هذا الحديث يكون وافيا من دونها وهى أن الحكيم كان أكثر كتابنا الأوائل جميعا استشهادا بالحديث النبوى الشريف ومعانى القرآن الكريم فى كتاباته ... حقيقة ربما لم ننتبه اليها من قبل فى الدراسات الأكاديمية ، وربما لا نفهمها تماما الا بعد تأمل طويل .

***

www.dar-alkotob.com دار الكتب

سر حكمة توفيق الحكيم :

وأحب أن أنقل للقارىء هنا ما كتبته فى الفصل الأول من كتابى « من بين سطور حياتنا الأدبية » عن سر حكمة توفيق الحكيم :

« قد يكون من اسرار حكمة الأستاذ توفيق الحكيم انه كان ولم تكن فى اعتزازه بنفسه تلك الصفات التى قد ينظر اليها على انها عيوب بارزة ، كالتى كانت فى زميليه الكبيرين طه حسين وعباس العقاد ، وخير ما يصور لك هذه المسألة هو ما رواه الأستاذ يوسف السباعى من ذكرياته حين اخذ يبحث عمن يقدم له روايته الأولى ، قال الأستاذ السباعى انه خشى ان يكتب احدهما المقدمة عن نفسه ، وان يكتب الآخر المقدمة فى نصف حجم الرواية ذاتها .. ولهذا كان الأستاذ الحكيم هو الذى قدم له .

ولكن الذى لاشك فيه ان ذلك كان نتيجة تطبع من الأستاذ الحكيم اكثر منه طبعا فيه ، والأستاذ انيس منصور فيما بعد وفاة العقاد وطه حسين بزمن طويل كتب يقول انه جمع بين الثلاثة على خط تليفونى واحد (بمساعدة عامل التليفون فى أخبار اليوم) بحيث يسمع بعضهم بعضا وهم يتحدثون عن بعضهم بآراء صريحة ، وكان الحكيم يرى نفسه انه القمة بين الثلاثة ، لانه يمثل الابداع .. مع اعترافه بالدورين

www.dar-alkotob.com دار الكتب

الكبيرين لزميليه الكبيرين ، وفى مقال طويل نشره الأستاذ صلاح منتصر فى الأهرام منذ شهور واتخذ له عنوانا « قالت لى نوتة الحكيم » ما يتفق وهذا المعنى .

توفيق الحكيم يتطبع :

اذن فتوفيق الحكيم يتطبع ، وهو فى تطبعه إحيانا ما يصقل شخصيته نحو القيم العليا ولكنه فى نفس الوقت كثيرا ما يطبعها بما يسعد الناس (كتابا عنه أو قراء له » ان يعرفوه عنه وأن يصفوه به .. واستطيع أن أقول انه كان اكرم من عرفت من الأدباء وقد شرفت بمعرفة كثيرين جدا ولكنه كان يتصنع البخل (*) وانه كان أكثر الناس اهتماما بالسياسة الوطنية وامورها ، فى كل عهودها ولكنه تصنع انه لا يهتم ابدا وكان على نحو ما فصل (فى ذلك) القول (البحث) الأستاذ صلاح عبد الصبور فى كتابه « ماذا يبقى من هؤلاء ؟ » الوحيد بين أدبائنا الكبار الذى لم ينضم للأحزاب ابدا وظن الناس لعهد طويل أن ليس لرجل الفن أو (راهب الفكر) بالسياسة علاقة ، حتى فزعوا حين وجدوه فى عودة الوعى يكتب فى السياسة فيكتب فى صراحة شديدة

(★) فصلنا هذه المسألة فى الباب الأول من هذا الكتاب الذى كتب بالطبع بعد هذا الفصل الذى نشر ضمن كتاب من بين سطور حياتنا الأدبية عام ١٩٨٤ .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

وقوية ثم جاء كتابه « الحمير » فكان خير مثال للرمز الصارح لا الواضح فحسب ، وحسب الناس انها نزوة ، واخطأ كثيرون حين جعلوه عنصرا من عناصر حملة مع انه لم يكن ابدا عنصرا وفات علينا جميعا إن المسألة لى تكن الا كما قال زهير : ومهما يكن عند امرىء من خليقة .. وان خالها تخفى على الناس تعلم .

واستقر فى الاذهان انه عدو المراة على حين ظل الرجل دائما علاى خلاف ذلك : عطف بالغ وحنان ابلغ ، والذين اتيح لهم ان يعرفوه فى حياته الاجتماعية او فى حياته الخاصة عن بعد قريب نوعا ما يستطيعون ان يأكدوا للناس انه لم يكن ابدا ذلك العدو .

وغير هذا كثير .. انما يعنينا من هذا كله انه كان من الذكاء بحيث لا يضيع وقته ولا جهده فى نفى ما اذيع عنه وان آذاه فى قرارة نفسه ولكنه كان يستطيع دائما ان يكبح نفسه وان يلتقط الخيط من هذه الخيوط فيرسم به حول شخصيته وصورتها عند الناس ابعادا جديدة وان يكيف من هذه الأبعاد ما يضيف به الى مجده، وفى هذا النوع من التطبع الظاهرى نجح توفيق الحكيم بنفس القدر الذى نجح فيه فى تطويع الأحداث للشخصيات ، والشخصيات للأفكار ، والأفكار للنزعات فى ادبه ذى المستوى الرفيع .

***

www.dar-alkotob.com دار الكتب

الحـكيم ينجـو :

ثم ان الأستاذ توفيق الحكيم نجا من ذلك الخلق الذى قد يصيب المرء اذا طالت أستاذيته وامتد به الزمن فى التدريس ، حين ينشأ فى عقليته نوع من الخمول الذهنى الذى يكون من أسبابه انه دائما يعيد ما قال ، وانه كثيرا ما يبدأ من الأول ، لأن تلامذته جداد جدا عليه .. وهنا ينشأ التكرار أو الاطناب أو التبسيط حين لا يكون له داع ، والتمثيل الذى يكون مختـلا اذا ما حاولت النظر اليه لأكثر من دقيقة ، وصحيح ان الانسان لابد ان يكرر فى كثير من الأحيان ولكن توفيق الحكيم على كل حال نجا من هـذا الخلق .. ولا نطلق القول ، فقد جاء زمن إصاب الجمهور فيه قدر عظيم جدا من الغبـاء امتد حتى أثر على أقلام كتابهم الكبار ، وانعكس على قلم الحكيم نفسه فأخذ يفتح كتبه القديمة ، يؤشر على عبـارات منها قالها منذ اربعين عاما ، ولايزال لها داعيها ورونقها فى هذه الأيام بأكثر مما كان لها يومها ثم اذا هو ينشرها على الناس مرة إخرى .

***

النجـاة من العجـلة :

وكذلك نجـا الأسـتاذ توفيق الحكيم من خـلق العجلة تدفعه اليه المقالات الموقوته المسلسلة ينتظرهـا

www.dar-alkotob.com دار الكتب

الناس ، وقد يتصـــور البعض انه لم ينل بسبب ذلك ما يناله الذين يصنعون الأحـــداث ، ويصوغون الآراء في وقتها ، وهذا قد يكون صحيحا الى حد ما ، ولكن الأستاذ توفيق الحكيم كان يفضل النار الهادئة ، ولهذا كان زاده الذى ترك للناس فى اغلب أحواله دسم ، ولكنه مع ذلك غير عسير الهضم .

***

طبيعية الصـــورة :

كان الأستاذ توفيق الحكيم يسخر ذات مرة من هؤلاء المصورين الذين يأتون اليه ، ويقولون له : ابتسم او حرك وجهك هـــكذا حتى تكون الصورة طبيعية .. وكان يقول لى : كيف تكون طبيعية بعد ما وجهوا هـــذا التوجيه ؟؟ ولكن من اسرار عظمة أدب توفيق الحكيم انه وجه ما شاء الله له ان يوجه ولكن أحدا من قرائه ولا نقاده قال عنه يوما ما قاله هو عن مصوريه .

***

الفن الا يظهر الفن :

قد يكون فى هذا دلالة على صـــدق قولهم ان الفن الا يظهر الفن ولكننا لا نستطيع أن نقول ان توفيق الحكيم كان كذلك ، فقد كان فنه فى كثير من الأحيان يظهر الفن لكن على النحو الذى يظهره على أنه طبيعة او مصادفـــة

www.dar-alkotob.com دار الكتب

أو محض تفكير عابر .. وهـذه الخصلة قد لا ترضى كثيرين من الذين تعبوا فى انتاجهم وصـوغه أو الذين يعتزون بأقلامهم وقدراتهم ، ولكن الذين كان من طبعهم الفن الأصيل لا يجدون حرجا ابدا ان ينزلوا عن معنى الابداع وحقوقه ، من أجل ان تتركز الأنظار على الابداع نفسه .. وقد يطلق النقاد على هـذه الخصلة اسـما من اسماء معانى التواضع .. ولكن الأحرى ان نجعلها من التطبيقات العملية لخلق التطبع .

***

الفـكر السـياسى :

كانت لتوفيق الحكيم إفكار سياسية نافذة منذ مرحلة مبكرة من حياته ولم يكن توفيق الحكيم عليـه رحمة الله من انصار الآراء السائدة وانما كان بما حباه الله من عقل صاحب قدرة على النفاذية الى الحقائق ، وبما حباه من ثقافة واسعة صاحب قدرة على البحث عن الوجوه الأخرى للحقيقة .

وربما سبب هـذا للحكيم بعض المتاعب او معظم المتاعب ولا ننسى انه كان فى السنين الأخيرة من حياتـه يحظى بأوصاف يصعب على الناس اضفاؤها على رجل له ماضيه مثل توفيق الحكيم .. ولم يكن ذنبه فى هـذا الا انه حاول ابداء بعض الآراء مهما يكن تقبل الناس لها .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

الليبرالية تتعرض لنقد الحكيم :

ومن الطف ما يمكن استعراض بعض الآراء السياسية المبكرة لتوفيق الحكيم والتى كتبها فى فترة الليبرالية التى اعقبت الحرب العالمية .. من هذه الآراء نستعرض لقارئنا آراءه التى وردت فى كتابه « عصا الحكيم » .. فهذه العصا تضغط على زر يوصلها بأناس من العالم الآخر أو العالم الحاضر .. وهى تتصل الآن بهتلر وتسأله هل أنت مت حقا ؟ أم انك حى مختبىء فى مكان ما ... ويجيب هتلر بأنه حى مختبىء .. تتلهف العصا على الاجابة فيقول هتلر انه مختبىء فى قلب كل المانى على وجه الأرض ..

ولكن توفيق الحكيم يعود الى الواقع ويسأل هتلر : جثة من التى وجدت فى قبور دار المستشارية فى برلين ، ويجيب هتلر انها جثته .

وهكذا تتضح لنا انعكاسات فلسفية الحكيم فى مثل هذه الحوارات (المسرحية » الممتازة فهو لا يبتعد عن الواقع الا ليقرر الحقائق العميقة فقط .

ثم ان هتلر يسترسل : كل ما اردت هو ان اترك لاعدائى جثتى .. اما الروح فهى التى لن يأخذوها ابدا ، وهى على الرغم منهم باقية ابدا ... وهى عندما خرجت من جثمانى دخلت فكرة فى نفس كل المانى .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

الحـكم وهتلر :

يتعمق الحكيم فى الحوار بعد ذلك ليسـأل هتلر ان كان مجرما ، ويجيب هتلر ، نعم انى مجرم فقد اخلصت لبلادى حتى الموت ، وهـذه فى نظر الانجليز اكبر جريمة يقترفها رجل غير انجليزى (لاحظ هنا الروح المصريـة عند توفيـق الحـكيم وان كنت عن نفسـها بالروح الألمـانية .. أو بما هو غير انجليزى » .

ويستأنف الحكيم حواره : الم يبلغك ما قاله عنك تشرشل انك كنت تحب شخصك أكثر من حبك لبلادك . وانك جمعت انت واعوانك فى المصارف اموالا تقـدر بالمـلايين .

هنا يأبى الحكيم الا أن يبرىء هتلو (وهى بداية تعاطفه فى هـذا الحوار مع هتلر وفكرة هتلر » : لقد عثروا على جثتى ، وكان ايسر من ذلك ان يعثروا على شلن واحد من هـذه الملايين المكدسـة فىالمصـارف ولكنك لا تعرف تشرشل .

***

هتلر وزعمـاء الحلفاء :

يستفز الحكيم هتلر فيقول اعرف انه هو الذى قادك الى الهزيمة فيجيب الزعيم الألمـانى :

www.dar-alkotob.com دار الكتب

هـل تظن كذلك .. ان الـذى اعرفـه هو ان « ستالين » قاد الجيوش وان «وروزفلت » قام بالتموين .. اما تشرشل فكان البهلوان الذى يصيح ويثرثر .

ويعقب الحكيم على لسان نفسه ان : تشرشل كان يلعب دور النبى الديمقراطى بطل ميثاق الاطلنطى .

ويردف هتلر فى حواره بعد سطور ان تشرشل ليس الا مصنع اكاذيب متحرك وهـذا الذى فى فمه « اى السيجار » هو مدخنة المصنع .

***

ايفـــا :

لا ينسى الحـكيم فى هـذا الحوار أن يتحدث عن ايفا ، وهى عند الحكيم : على لسـان هتلر ـ زوجـة مخلصة حتى الممات ، رفضت المجد وفضلت الانزواء .. لم تستغل صلتها بهتلر لمصلحتها الشخصية ..

فقد كانت اعظم نفسـا وارفع شـعورا واصـدق عاطفة واعمق اخلاصا .. وقد فهمت ان رسالتها هى ان تكون بجواره فى ساعات الضعف والوحدة والوحشة المظلمة .. لا ان تتألق للناس فى ساعات المرح وساحات النصر وحلبات الرقص .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

وعلى لسان هتلر يدافع الحكيم عن اثارة هتلر للحرب « فعندما تكون المسألة بالنسبة لأمة مسألة حياة او موت فلابد من المقامرة بكل شيء » اما انجلترا فلا تدخل ابدا فى ميدان اللعب الا وفى كمها أوراق مغشوشة .. ويدور الجدل بين هتلر والحكيم حول أصول المقامرة السياسية ، والفروق بين الانجليز والألمان فيها الى ان يقول الحكيم :

لا تنكر ان الانجليز فى هذه الحرب الأخيرة قامروا هم ايضا بكل ما لهم وحياتهم .. ويرد هتلر .. لا يا سيدى انهم قامروا بكل حياة الفرنسيين ، وبكل ما فى جيوب الأمريكان .

***

مستقبل العالم بعد الحرب الثانية :

وفى النهاية يبلغ الحكيم الذروة حين يدير على لسان هتلر رايه فى المستقبل :

« لقد خسرت المانيا الحرب ، لأنها كانت وحيدة، وسيخسر الحلفاء السلام .. لأنهم عديدون » .

هل حقا حدث هذا .. هذا هو السؤال الذى تنبىء اجابته عن عبقريته الحكيم الفنان .

***

www.dar-alkotob.com دار الكتب

سياسى الى النهايـة :

على هذا النحو يمكن لنا ان نقرا « الحكيم » فى اعماله الأدبية جميعا فهو « سياسى » من البداية الى النهاية ، لأن السياسة عنده اعظم من ان تكون مقتصرة على هذه الممارسات التى يشاهدها يوما بعد يوم ، انمـا السياسة عنده هى فن بناء الحضارة .

كان الحكيم يقرا الصحف الفرنسية كل يوم ، وكان ملما بكل ما يجرى فى هذه البلاد التى عاش فيهـا حياته مرتين : فى العشرينات وفى الخمسينات والتى كان يسافر اليها كلمـا امكنه ذلك فى الصيف ، وكان الحكيم عندما ينتابه اليأس من الممارسـة السياسية فى مصر يحاول أن يجد السعادة فى الممارسة السياسية التى فى فرنسـا او فى غيرها من الدول المتقدمة .

وبالاضافة الى هذا كله كان الحكيم صاحب رؤية تقدمية فى عالم السياسة تتعدى الديمقراطية الشائعـة الآن الى ديمقراطية اخرى اصـدق جوهرا واكثر تعبيرا عن حقائق الحياة والعلم والمستقبل .

***

الحزبيـــة :

لم يعرف توفيق الحكيم ــ كما ذكرنا ــ بالحزبيـة ابدا ، ولم ينضم الى الحزبية ابدا ، وفى اللحظات التى

www.dar-alkotob.com دار الكتب

وصلت الحزبية فيها الى امجد لحظاتها كان توفيق الحكيم يسخر من الديمقراطية المريضة ، وكان فى هذا يتجاوز كل سعادات المراقبين الى استشراقات المفكرين الصادقين مع انفسهم حين كان ينبغى لنا ان نجد فى هذه الحقبة المبكرة من حياة الليبرالية المصرية من ينبه الى خطورة سيطرة الوسيلة على الجوهر ، وضياع الفائدة تماما بين ثنايا الفرحة بالمظهر الديمقراطى للعبة السياسية ولهذا كان توفيق الحكيم يكتب هذه المقالات الممتازة التى ضمنها فيما بعد كتابه « شجرة الحكم » والتى صور فيها حوار المراهنات « اشارة الى مراهنات احمد ماهر » والمقتنيات الثمينة « اشارة الى حرص محمد محمود خليل رئيس مجلس الشورى على اقتناء التحف .. » ... الخ فى حوارات مسرحية ممتازة ... ثم كان المقال الأشهر الذى اوذى بسببه كثيرا .. ولكنه كان المقال الذى صنع اول مجده كمفكر وطنى اخترق بعقله الناضج حجب الواقعية من اجل مستقبل بلاده .

***

فى مجلس الشورى :

عندما اعلن عن تشكيل مجلس الشورى وضم التشكيل اسم توفيق الحكيم اتصل به اولو الامر ، وحضرت الموقف الذى كان الأستاذ ثروت اباظة يهنئه

www.dar-alkotob.com دار الكتب

فيه بهذا الاختيار .. كانت خلاصة راى الحكيم يومها انه لن يكون قادرا على حضور جلسات المجلس لو سارت على نحو ما تسير عليه جلسات مجلس الشعب .. « ولكنه مستعد لحضورها لو كانت على نحو متباعد فى الوقت ، يتيح فسحة لدراسة القضايا المعروضة وتأملها على نحو أرحب واعمق » ربما كان من الضرورى ذكر مثل هذه الواقعة التى حدثت قبل ان يستبين للناس طبيعة عمل هذا المجلس ، والله على ما اقول شهيد لنبين أن هذا الرجل كان (حتى بعد الثمانين) حريصا على المشاركة التى يستطيعها فى اى مجال يمكن ان يحقق خدمة او تقدما لبلاده العزيزة عليه .

***

الحرية المتجددة :

هذا وقد كان الحكيم من اكثر الناس سعادة بجو الحرية التى شهدته مصر فى السنوات الأخيرة ، وكان الحكيم كذلك من اكثر الناس اشفاقا من المستقبل وعلى المستقبل ...

وقد كان قبيل سبتمبر ١٩٨١ متوجسا اشد التوجس مما حدث بالفعل .

كان الحكيم من اكثر الناس معاناة مما تفعله الصحف (الأجنبية خاصة) فى الأحاديث التى تنشرها

www.dar-alkotob.com دار الكتب

على لسان الشخصيات المصرية .. وبلغ به الأمر انه كان يدلى برده على الأحاديث كتابة « ويحتفظ بصورة مما تحدث به .. ربما ليرضى ضميره حين لم يكن هناك من يعقب عليه .. ومع هذا كان الحكيم يحدث القريبين منه أنه مستاء من هذا المستوى الذى وصل اليه تأويل الأحاديث .. ولم يكن يطمئنه فى هذا الصدد فى عصر أنور السادات الا أن السادات شخصيا كان لا يهتم بالتفاصيل التى تنسب الى اعلام الكتاب من امثال الحكيم وانما يهتم بالخط العام فى علاقتهم به وبسياساته.. ولو لم يكن مثل هذا الشعور موجودا عند الحكيم لزاد قلقه من الممارسات الصحفية فى عصر الانفتاح الى حد خطر .. ربما كان يجعله يتوقف تماما عن ابداء أى رأى !!

***

www.dar-alkotob.com دار الكتب

www.dar-alkotob.com دار الكتب

الباب الثالث

توفيق الحكيم أديبا

www.dar-alkotob.com دار الكتب

www.dar-alkotob.com دار الكتب

توفيق الحكيم أديبا

كان الحكيم مثقفا عريض الثقافة - واسع الأفق . كان اكثر ادبائنا الكبار جميعا المـاما بالفنون التشكيلية ، والموسيقى ، وكان يعتقد اعتقادا يقينيا إنه لا يتـأتى للفنان أو الأديب قدر (معتبر) من الذوق والثقافـة ونضج الأسلوب اذا لم يكن له باع طويل فى فهم الموسيقى والفن التشكيلى .

وقد تأثر برؤية الحكيم هـذه كثير من الأدبـاء البارزين فى الجيل التالى له ــ سواء اعترفوا بذلك ام لم يعترفوا ــ ولكن مبلغ النضج عند هؤلاء حتى ان كتبوا فى الموسيقى نفسها لم يبلغ مبلغ نضج الحكيم الذى لم يكتب مباشرة فى هـذه المعانى .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

يقتضينات الأنصاف ان نذكر ان اثنين من جيل توفيق الحكيم متعهما الله بالصحة والعافية ، ربما فاقاه فى هذه الناحية ولكنهما فى كتاباتها كانا يحتاجان قدرا ارفع من الثقافة يكون عند القارىء لهما.. وهما يحيى حقى وحسين فوزى ، وتتطلب قراءة الأخير بالذات قدرا ارفع من زميليه .. هنا يبرز تفوق الحكيم رغم تفوق معاصريه من حيث كان أقرب الى الجمهور كله ، لأنه كان إقرب الى الجوهر فى كتاباته من التفاصيل الدقيقة .

لم يجد الحكيم حرجا حتى آخر يوم من ايام حياته فى أن يتعلم وان يضيف الى علمه وافكاره ومعلوماته ، وان يجدد فى وسائل مخاطبته للناس ، الخاصة منهم والعامة .

شباب مع الفن :

اتيحت لتوفيق الحكيم فرصة مبكرة للاحتكاك بأهل الفن والأدب .. وقد أفاد الحكيم بلاشك من هذه الفرصة ثم اذا هو فى باريس إمام « النور » كله فلم لا يستفيد منه ؟

نظلم انفسنا حين نقول ان توفيق الحكيم ترك ما بعثه له والده من دراسة القانون لتتويج دراسته بالدكتوراه وانتبه الى الفن .. قول ممجوج نكرره من

www.dar-alkotob.com دار الكتب

دون أن ننتبه الى تناقضـــه مع دعوتنا الى البعد عن عبادة الشهادات ...

أليس الأولى أن نقول فى صراحة ان توفيق الحكيم حقق آمال والده اضعافا مضاعفة حين انصرف يدرس الحضارة كلها لا القانون فحسب ، وحين حقق فى هذا المجال ما لم يحققه مصرى قبله ولا بعده من دراســة عميقة متأنية فيها القراءة نهارا والمشاهدة ليلا ..

ولكن ما هو الدليل على هذا القــدر الرفيــع من الثقافة الرفيعة الذى حققه توفيق الحكيم ؟ .. سؤال يحتاج الى اجابة (مصرية) بحجم الشهادات وقدرها .

ولكن الأولى هو ان نسأل انفسنا فى صراحــة هل كان من الممكن للحكيم من دون ثقافة رفيعة أن يكتب كل ما كتب بهذا العمق والوضوح .. عمق الفكرة ، ووضوح الرؤية وبكل سلاسة وسهولة ويسر ؟؟

***

التراث الشعبى والتراث الروحى :

تشبع توفيق الحكيم بتراث شعبى وروحى كبير اتاح له التفرد فى اعماله التى قدمها للناس على مدى ستين عاما ، وكان توفيق الحكيم رغم ثقافته الأوربيــة الممتازة منتبها الى الحضارة الاسلامية بصفة خاصــة ،

www.dar-alkotob.com دار الكتب

وربما تناسى الناس اليوم ما فعله من (تلخيص) تفسير القرطبى للقرآن الكريم ، وربما تناسوا ما فى تقديمه لهذا التلخيص من فكر اسلامى عميق وممتاز .. ولتوفيق الحكيم مجموعة رائعة من الاسلاميات ربما لن تلقى التقدير العميق لما فيها من فكر اسلامى ممتاز وثقافة اسلامية واعية وفهم عميق للتاريخ الاسلامى الا بعد أن تبلغ دراساتنا الأدبية فى المجال الاسلامى أو (اسلمة العلوم الأدبية) قدرا من النضج ربما لن يكون متاحا لها قبل مطالع القرن الحادى والعشرين .

***

التواصل مع المجتمع :

لم ينفصل توفيق الحكيم وهو الأديب الكبير صاحب البرج العاجى أبدا عن المجتمع وقضاياه وقد ظل الى آخر ايامه يعبر عن المشكلات الطارئة والقائمة فى ثنايا أعماله بذكاء وفن شديدين ، وعلى الرغم من انه لم يكن أبدا من طائفة الكتاب الذين يحكون للناس كل يوم مشكلاتهم الشخصية التى يخصصون لها (أو يشغلون بها) المساحات المتاحة لهم .. فان توفيق الحكيم كان يحكى للناس كل ما فى حياته من دون أن يزعم أحد انه قصد الى ذلك .. وربما كانت طريقة توفيق الحكيم فى هذا هى اقرب

الطـرق وأصعبهـا الى الجمـع بين الصـدقين الفنى والواقعى .

***

من نفس المستوى :

نجح توفيق الحكيم فى ان يكتب للنـاس دومـا فلا يتعـالى عليهم ، ولا على الواقع ، وانما هو يتأمله ويتدبره ويعيد تأمله وتدبره حتى يخرج الواقع للناس فى صورة أخرى غير التى هى (واقعة) فعلا .. ربما كان هذا هو الفن .. وربما كان هـذا هو الفكر .. وربما كان هذا هو الابداع . ولكن الذى لاشك فيه ان الناس لم تكن تتلقى نتاج هـذا الرجل العظيم من الفكر الا على انه صورة ارقى ما تكون من صـور الامتاع : الروحى والنفسى ، الامتاع الذى لا سبيل اليه الا بالذوبان فى الفكر وهكذا فعل توفيق الحكيم عليه رحمة الله .

***

النجاة من العمالة :

اسـتطاع توفيق الحكيم أن يكون ابرز الأدبـاء والصحفيين الذين نجوا من (العمالة) بمعناها الواسـع فلم يكن توفيق الحكيم فى يوم من الأيام من انصار فكرة أو جماعة معينة ، وانما كان من انصـار افكاره حتى

ولو كانت هـذه الأفكار متوافقـة مع الراى السـائد يومها .. ولهذا كان الحكيم متجاوبا فى السنوات الأخيرة مع فكرة السلام ، ولهذا كان الحكيم قبل هـذا ايضـا متجاوبا مع روح الحقبة الناصرية . ولكن عن اقتنـاع شديد .. ولكن توفيق الحكيم نجا تماما من « العمالة » (بمعناها الواسع كما قلنا) فلم نعرف ابدا انه جامل من أجل صداقة او طمعا فى مغنم او خوفـا من مغرم .. وربما كان هذا هو سر الاحترام الشديد الذى كان فى نفوس جميع من عرفوه له ولمبادئه . وربما كان هـذا هو السبب فى أن توفيق الحكيم عاش فقيرا (أو بخيلا) الى النهاية .. ولو لم تكن هناك روح التكافل الاجتماعى والتقدير المعنوى — أو بقايا منها فى مصر — لربما كان توفيق الحكيم قد عانى أشـد المعاناه فى حياته ولحظاته الأخيرة التى استمرت سنوات .

***

السياسـة الثقافية :

كان توفيـق الحـكيم من اكثر الأدبـاء اهتمـاما بالسياسة الثقافية لبلاده .. وبادارة الحركة الثقافية فيها ، ومنذ اعوام ليست بالبعيدة اعد الحكيم تقريرا على ارفع مستوى للنهوض بالمسرح المصرى وعرضه على لجنة من أعظم اهل ثقافتنا ذكرا ، ولقى الحكيم تقـديرهم لأفكاره التى رأى بعضها النور بالفعل .

وحين كانت صحافتنا قد اخذت تهىء الاذهان لوقف بعض المجلات الثقافية متعللة فى هذا بعدم توزيع هذه المجلات لعدد كبير من النسخ كان الحكيم يبدى عجبا شديدا من هذا الفكر ، وقد بادرنى بالحديث فيه على النحو التالى :

هل رأيت فى بلاد الدنيا ان القطار (او الطائرة) لا يقوم فى موعده المحدد اذا لم يكن فيه كفايته من الركاب ؟ هل يؤجلونه حتى يأتى العدد المناسب ؟ ويضحون بمصالح الناس الذين جاءوه وركبوه فى موعده؟ هل يلغون القطار رقم كذا القائم فى موعد كذا ... ولم اكن اعرف حقيقة مقصده من هذا السؤال .. ولكنى فى فرح الشباب بمعلوماته عقبت بالقول ان هذا موجود الى حد ما فى مصر ، فاندهش الرجل اندهاشا شديدا وقال افهم ان يكون ذلك نتيجة إعطال او اصلاحات اما ان يكون من اجل استقدام ركاب فلماذا ؟؟ فأخذت افصل له القول فى طبيعة عمل سيارات البيجو التى تقوم بنقل الركاب بين اقاليمنا (متأثرا بالطبع بسفرياتى المتصلة فى تلك الأيام الى الزقازيق) ...

تنهد الحكيم بعد هذا الحديث وقال :

اذن فقد وجدت اصلا لما يفعلون فى شأن المجلات

الثقافية .. والمسرحيات الكلاسيكية التى تعرض على المسرح القومى .

***

السيرة الذاتيـــة :

لم يكتب توفيق الحكيم سيرته الذاتية فى كتاب واحد على نحو ما فعل طه حسين او احمد امين ، ولكنه اســتطاع ان يستغل حياتــه (التى لم تحفل بكثير من الأحداث الصعبة او الصعوبات المتجددة ...) فى اكثر من عمل ادبى .

ومن الطريف ان ناشرا لبنانيــا وضــع ذات مرة عنوان (حياتى) على واحد من كتب توفيق الحكيم التى تناولت فترة من عمره المبارك ، ولم يكن من الصعب ان يتقبل القارىء الكتاب هــذا العنوان بديلا عن العنوان الأصلى « سجن العمر » .

وقد قلت للأســتاذ توفيــق الحكيم فى تخــابث مقصود ان كتابه « حيــاتى » فيه كذا وكذا .. جــاء هذا عرضا فى اثناء حديث عن قضية فرعية .. فاذا به يتساءل :

وهل يجوز ان اسمى كتابى حياتى .. واحمد امين قد سبق الى هذا العنوان ، انما هو سجن العمر فعل به الناشر هذا الذى فعل .

واضح اذن ان توفيق الحكيم لم يكن حين استغل حياته فى اكثر من كتاب بخيلا وانما هو حريص على الا يكرر ما سبق اليه زملاؤه او زميله احمد امين بالدرجة الأولى .

ثم هو قد كتب (.. قبل ان تكون له حياة طويلة تستحق أن يكتب عنها كتابا فى السير الذاتية) . بعض وقائع من حياته فى عمل مثل « عصفور من الشرق » .

لماذا اذن لا يكمل الحكيم الخط الذى بدأه ـ من دون قصد فيكتب عن المراحل المختلفة كتبا مختلفة .

ربما كان هذا هو جوهر الفكرة فى كتابات الحكيم التى جعلت سيرته الذاتية مادة خصبة لأدب عظيم وفن راق .

***

ترجمة الآداب الأجنبية :

ربما خلت مؤلفات توفيق الحكيم من الترجمة رغم كل ما فى الترجمة من تنوير .. هل كان توفيق الحكيم يؤثر البعد عن هذه العملية (الصعبة المملة التى قد تستهلك وقته ليوفر هذا الوقت للابداع .. لينتج اعمالا تحمل اسمه فى المقام الأول لا فى المقام الثانى (او الأول مكرر لو كان فى الترجمة ابداع واضح) ... ربما تكون الاجابة على هذا النحو

مقنعة ، ولكن الذين عرفوا الأستاذ توفيق الحكيم حق المعرفة قد لايوافقون على هـذه الاجابـة .. فقد كان الحكيم رائدا من رواد التأصيل الفكرى الحقيقى الذين يعنون كل العناية بالبحث فى انفسهم عما يواجهون به الواقع قبل ان يبحثوا عن العقاقير .

ولهذا كان الحكيم كثير الاستشهاد .. ولكنه لم يكن ايضا من الذين يزعمون ان فى وسعه الاستغناء عن كل ما هو خارج اطار حضارته .

ثم هو مع هذين الخلقين الذى وازن بينهما على خير ما يكون قادر على ان يتصـدى بالتجارب الجديدة لكل الأحداث الطارئة على خير ما يكون .

***

كيف دخل الحكيم الحياة الأدبية ؟ :

حين أخرج توفيق الحـكيم مسرحيـة « أهـل الكهف » الى الجمهور المحدود فى منتصف الثلاثينات واجه موقفا طريفا .

فها هو قد طبع المسرحية ، واذا به امام اعداد من المسرحية لا يدرى ماذا يفعل بها .. ولم يكن يومهـا مقيما فى القاهرة ولا مستوظفا فيها (اذن فهو قد كان

من أدباء الاقاليم كما يحلو لنا أن نسمى اليوم الأدباء من خارج القاهرة حيث تصعب المجاملات والشللية القاتلة ...) .

واذا هو يتجه الى عيادة صديقه الدكتور محمد كامل حسين التى لاتزال قائمة فى شارع صبرى أبو علم بالقرب من المطبعة التى طبع فيها كتابه فيحفظ فى حجرة من حجراتها الواسعة هذا المؤلف العظيم .

ربما كان لهذه الواقعة بالذات اثر فى توطيد صداقتى بالحكيم .. فقد كان يسعد جدا بكل ما هو من طرف كامل حسين ، ثم هو سعيد أكثر لانى كتبت عن رجل لم إره ، وكان الحكيم يسعد بالكتابة التى لا تتأثر بالرؤية المباشرة لشخص صاحب الفكر .. ربما من كثرة ما جاءه من نقاد . ودارسين من العالم أجمع .. وما كرروه على سمعه من الأسئلة المتشابهة .

ولكن توفيق الحكيم يوزع « جوهرته » أو يوزع صورا من جوهرته على كبار المثقفين فاذا هو يلقى من التقدير أقدارا متعاظمة .

يفتح الصحيفة فى الصباح فيجد طه حسين يثنى الثناء كله على ما فعل توفيق الحكيم .. وفى صباح آخر يجد أستاذ الفلسفة الاسلامية (الذى اصبح فيما بعد شيخا للجامع الأزهر) يتحدث حديثا كله تقدير وتقييم صادق .

هل كان فى وسع المجتمع المصرى فى ١٩٨٥ مثلا (اقصد منتصف الثمانيات) أن يستقبل تجربة مثل تجربة توفيق الحكيم بمثل ما استقبلها به سنة ١٩٣٥ (أى منذ نصف قرن ..) أم لا ؟

اغلب الظن أن لا .. فلاشك أن الانصاف يقتضينا ان نذكر الى جانب عبقرية توفيق الحكيم عبقرية المجتمع الذى عاش فيه توفيق الحكيم .. حتى وان سجل الحكيم نفسه معايب هذا المجتمع او مآخذه عليه فى أعماله ، فقد كان يبغى الاصلاح ، .. من ناحية اخرى فقد كانت أمام الحكيم فرصة ليكتب ما كتب وليلقى ما استحق من تقدير بفضل وجود طائفة من المستنيرين على أعلى المستويات بين النقاد (طه حسين) واساتذة الجامعة بل وعلماء الدين انفسهم (الشيخ مصطفى عبد الرازق) .. وليس هذا تقليلا من قدر توفيق الحكيم .. ولكنه معنى كان الحكيم نفسه يحرص على التنبيه اليه .

***

مسرح الحكيم :

ربما كان أقل تقدير يوصف به مسرح الحكيم هو الريادة ، فبعض الذين يحبون أن يكتفوا بالنظر الى الأدب فى ضوء المذاهب التى درسوها لا يجدون صعوبة فى

انتقاد كثير من الجزئيات فى مسرح الحكيم .. ولكنهم مع ذلك يقفون بعد هذا كله أمام هرم شامخ لايستطيعون أن يتجاهلوا قدره حتى لو اكتشفوا بعض الخدوش فى واحد أو أكثر من الحجارة التى تظهر وكأنها تكون هذا الهرم .. وهم لهذا يتداركون انفسهم بالقول بريادة مسرح الحكيم .

***

حتى قبل أن يستقر اللفظ :

ولقد وضع الحكيم اسس المسرح العربى حتى قبل أن يستقر هذا اللفظ للدلالة عن هذا الأدب الراقى .. وربما كان كبار النقاد لايزالون يطلقون على مثل هذا الأدب تعبير فن التمثيل فحسب ، حتى طه حسين (نفسه) حين تحدث فى استقبال الحكيم فى مجمع اللغة العربية يقول :

« لأول مرة ظهر بيننا كاتب يحاول أن ينشىء فن التمثيل باللغة العربية لا يترجم ولا يقلد فيه ولا يتكلف ما كان يتكلف الكتاب الذين يحاولون أن ينتجوا فى التمثيل ، وانما يقبل عليه كأنما خلق له منذ خلق ، ويتصرف فيه كأنما خلق ليتصرف فيه وليكون كاتبا ممثلا لا يظهر التكلف فى حرف من حروف هذه القصة

ولا يظهر التعب ولا الكد فى شىء من هذه القصة وانما هى تأتى يسيرة سهلة كأنما أوحيت اليه او كأنما الهمها الهاما » . يتضح اذن من هـذه الكلمـات ان كلمـات الأدب المسرحى والمسرح ... الخ لم ترد على الاطلاق حتى الآن رغم مرور ما يقرب من عشرين عاما على ما بدا فيه توفيق الحكيم من انشاء المسرح العربى .

***

تأصيل المسرح سر نجاحه :

ربما كان سر نجاح توفيق الحكيم فى انشاء مسرح عربى إنه انشـأ المسرح من أصـول عربيـة .. او انه استطاع الوصول الى اصول عربية يمكن انشاء مسرح على اساسها .. وببساطة شديدة فقد استطاع توفيق الحكيم فى « اهـل الكهف » ان يجمع بين تراثين هامين ببساطة واقتدار .. ففى اهل الكهف جمع الحكيم بين التراث العربى الاسلامى متمثلا فيما ذكره القرآن الكريم من شأن اهل الكهف فى السـورة التى تحمـل اسـم « الكهف ».. « وبين التراجيديا الاغريقية » .

أحسن الأعمـال اولها :

ربما يصدق على « اهل الكهف » القول القائل ان احسن الأعمال هو اولها .. فقد انتبه الحكيم بفضل

كتابات من نقدوا المسرحية يومها ومن بينهم طه حسين والعقاد واحمد امين ومصطفى عبد الرازق الى عناصر القوة فى تأليفه المسرحى ، واذا هو يستلهم التاريخ بعد ذلك فى عدة مسرحيات .. فهو يستلهم التاريخ الشرقى والتراث الشرقى فى مسرحيات مثل « ايزيس » و « السلطان الحائر » و « شهرزاد » .. ثم هو يستلهم التراث الاغريقى القديم فى « بجماليون » و « أوديب » و « براكسا » .. كما يستلهم التراث الغربى المعاصر بعد ذلك فى عدد آخر من المسرحيات .

***

الاخلاص لفكرة المسرح :

هكذا ظل توفيق الحكيم مخلصا لفكرة المسرح : يعالج به المشكلات القائمة ويطرح فيه وبه رايه فى القضايا التى تدور من حوله من دون أن ينغمس فيما انساق اليه الكثيرون من بعده تحت شعار الواقعية . التى كانت فى البدء جميلة طريفة ، ثم هى اليوم قد تكون مبتذلة الى اقصى حدود الابتذال .

نعم .. كان توفيق الحكيم يؤمن بأن الفن ينبغى أن يكون فى اطار (او فى ثوب) من الثقافة والتاريخ .. أو على اقل تقدير ينبغى أن يبتعد عن (المباشرة) فى التناول .

التجاوب مع تطلعات المجتمع :

وظهر هذا جليا كذلك فى مسرح المجتمع الذى استطاع توفيق الحكيم من خلاله ان يجعل الأدب يتجاوب مع ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .. ومع هذا فان ترفع توفيق الحكيم بمسرحياته فى مسرح المجتمع « عن الوقتية والمباشرة هو الذى هيأ لهذه الأعمال الخلود والقابلية لتكرار العرض والقراءة على مدى الأيام من دون أن يستطيع اى انسان ان يزعم انه كان فى وسع الحكيم ان يكون اكثر ثورية او معاصرة .. الخ هذه الألفاظ التى بلى بها الأدب العربى النقد العربى .

***

المـــودات :

ربما كان توفيق الحكيم بعد هذا كله صاحب فضل فى (تفتيح) عيون الأجيال التالية له من المسرحيين على المستحدث (أو المودات الجديدة) فى المسرح الأوربى .. ولكن الأهم من ذلك انه كان صاحب الفضل الأول فى رسم الطريق الأمثل الى التأثر بمثل هذه التطورات الأدبية الهامة ، وهو لهذا حين يؤلف مسرحية مثل (طالع الشجرة) لتكون باكورة انتاجه فى مسرح اللامعقول يعود

ليستلهم التراث الشعبى ، فيهديه ذكاؤه ، أو تهديه ثقافته الى هذا المثل البسيط الذى يقول : « يا طالع الشجرة .. هات لك معاك بقرة .. تحلب وتسقينى بالملعقة الصينى » .

وهكذا وفى بساطة شديدة يجد المشاهد العربى (أو القارىء العربى) فى هذه المسرحية لامعقولية الشكل وقد اراحته من لامعقولية المضمون .. فلربما كان توفيق الحكيم أكثر الناس جميعا فى معقوليته لا فى مسرحياته فحسب عليه رحمة الله .

لم يكن يشاهد المسرح العربى :

بقيت نقطة أخيرة لابد من الاشارة اليها ، فقد كان الحكيم رائد المسرح من اقل المؤلفين حضورا لمسرحياته عند تمثيلها أو فى تجاربها .. ولم يكن يصدر فى هذا عن كراهية لمثل هذا السلوك ، وانما لأنه كان يحكم نظام حياته اليومى لا يحب السهر ، بينما مسارحنا المصرية لا تعمل الا مع انتصاف الليل وكان الحكيم يتمنى ان يكون عندنا نفس النظام الوقتى للمسارح الأدبية التى تعود عليها .. ولكنه للأسف مات قبل أن يكون عندنا هذا الاهتمام بالبكور المسرحى .

***

ماذا نفتقد من ادب الحكيم :

ماذا نفتقد بغياب ادب الحكيم ؟ هل حقا يمكن لأحد ان يملأ الفراغ الذى خلفه توفيق الحكيم ، الحقيقة انه لا احد يستطيع ان يملأ فراغ توفيق الحكيم ابدا ، ولكن الذى لاشك فيه ان توفيق الحكيم لم يترك فراغا فى الأدب العربى لأنه تولى بنفسه استكمال كثير من الأوجه والأشكال التى يلزم لرقى هذا الأدب وحداثته وجودها فيه .. فهو اذن قد قام بدور هام فى انشاء وترقية الأشكال الأدبية الجديدة والمستحدثة ، وفى استثارة الناس حول معان وافكار جديدة ، وبوضع اقدام الأدباء على مناح مختلفة لمعالجات مستحدثة .. ربما لا يستطيع واحد منا ان يزيد انتاج توفيق الحكيم فيؤلف كتابا او مسرحية يضاف الى رصيد الحكيم .. ولكن الذى لاشك فيه ان كثيرا من الأعمال الأدبية منذ نصف قرن لاتزاح متأثرة بتوفيق الحكيم وهى امتداد له بالطبع .

***

اكثر الأدباء ليبرالية :

هل يستطيع احدنا بعد هذا ان يزعم انه اكثر ليبرالية فى الفن والأدب من توفيق الحكيم .. هذا هو جوهر الاجابة على السؤال الذى قد يتداعى لواحد من

الجيل القادم بعد ثلاثين عاما حين يدرس الأدب وتاريخه فيجد توفيق الحكيم لامعا طيلة هـذه الفترة كلها . لأنه ببساطة شديدة كان ينمو مع الزمن ويزداد نضجا وتفتحا مع الزمن .. وهـذا هو المفروض فى الكائنات الحية .. ولكن كثيرا من المفكرين يأبون على انفسهم ان يظلوا بروح الكائنات الحية ، ويصنعون لأنفسهم منذ مرحلة مبكرة هيكل مومائيا يحتفظون بانفسهم فيه .. على النقيض التام من هؤلاء كان توفيق الحكيم الذى لم يفتأ يجدد فى انتاجه وفى اسـلوبه حتى آخر لحظة من (الوقت الضائع) فى حياته رحمة الله .

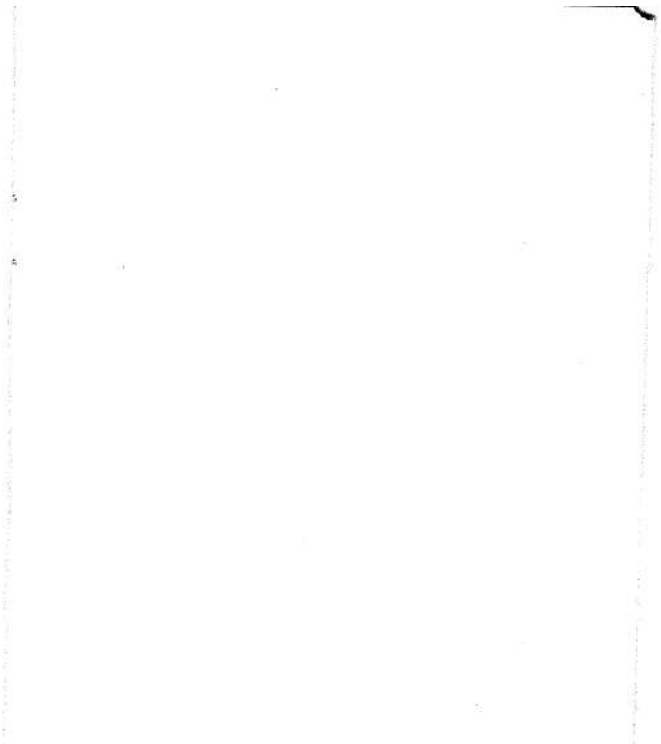

الباب الرابع

الآثار الأدبية لتوفيق الحكيم

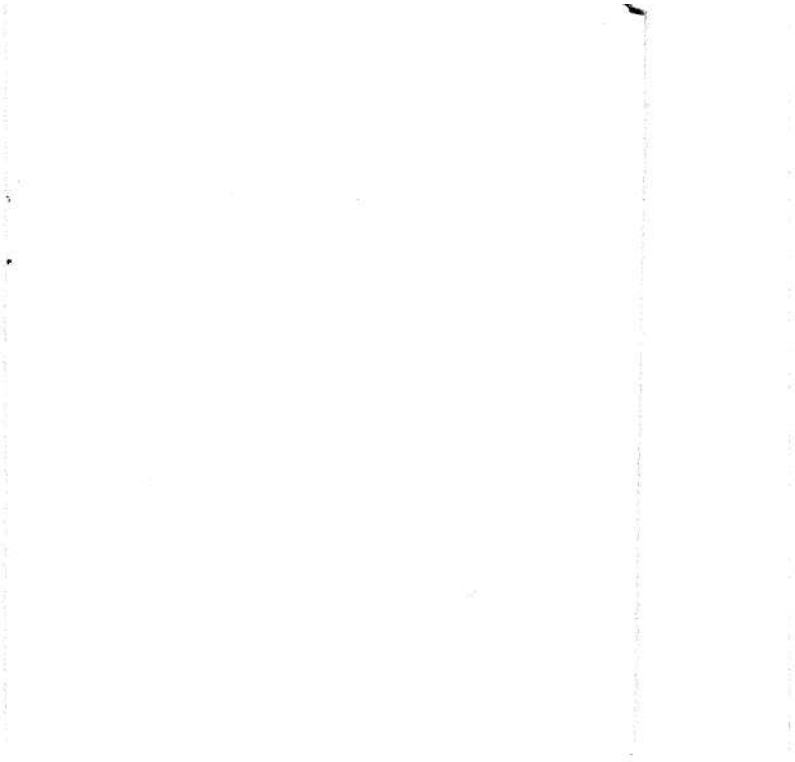

الآثار الأدبية لتوفيق الحكيم

لمسة روحانيـــة :

لم يكن الأستاذ الحكيم حين رتب مؤلفاته يخضـــع الترتيب الزمنى ، وانما كانت عنده لمسة روحانية تجعله يقدم كتابه عن النبى صلى الله عليه وسلم (محمد) على كتبه جمعا ، رغم إنه خامس هـــذه المؤلفات من حيث الصدور . . . ملاحظة لابد لنا أن نسجلها قبل ان نتحدث عن اعمال الحكيم التى يجدها القارىء مرتبـــة زمنيا على خير ما يكون .

***

قائمـــة المؤلفات :

كان توفيق الحكيم حريصا فى كل كتبه على أن يورد قائمة بمؤلفاته يتبعها بقائمة اخرى بالترجمـــات التى

نشرت لبعض هذه المؤلفات ، وكان الحكيم ربما بحكم طبيعته الحريصة على التأكد ، وربما بحكم الخبرة (فى منصب مدير دار الكتب) حريصا على ان يوفر لناقده أو دارسه هذه القائمة مع كل كتاب كأنه يكفيه عناء البحث عن التعريف بمؤلفات توفيق الحكيم .

ولابد ان نذكر ايضا أن توفيق الحكيم كان كثيرا ما يهمل ذكر بعض الكتب التى حملت اسمه والتى لم تكن الا تجميعا لرسائل أو مقالات صحفية ... الخ .

***

يسهل اذن علينا ان نعرف بمؤلفات توفيق الحكيم معتمدين على القائمة الجميلة التى نظمها بنفسه ـ رحمة الله عليه ـ فى صدر واحد من آخر كتبه وهو كتابه التعادلية والاسلام والتعادلية .

***

الأعمال المجمعة :

ينبغى لنا فى البداية أن ننتبه الى ان مجموعة كبيرة من الأعمال المسرحية التى تتداولها الألسنة والأقلام منسوبة الى توفيق الحكيم صدرت فى عملين أو مؤلفين فقط ـ هما مسرح المجتمع (الذى صدر عام ١٩٥٠) والمسرح المنوع (الذى صدر عام ١٩٥٦ أى بعد ٦ سنوات

من السفر الأول) ... يضم كل هذين المؤلفين ٢١ مسرحية تتفاوت فى تاريخ كتابتها منذ العشرينيات وحتى صدور هذين المؤلفين .

***

مسرح المجتمع :

فأما مسرح المجتمع فقد نهج الحكيم فى ترتيب مسرحياته نهجا منظما جدا فهو يجعل للمسرحية مصدرا ، ويسمى هذا المعنى من وحى ... وهكذا تجد : من وحى اخلاق المجتمع ، من وحى الطبائع البشرية ، من وحى الحركة النسوية ، من وحى الحياة الزوجية ... الخ) . بحيث يسهل على الباحث عن مسرحية معينة (فى سرعة) ان يجد المسرحية التى قد تناسب المقام .. كما يحدث فى بعض الأحيان فى اختيار المنصوص المسرحية للعروض الجامعية .

ثم هو يردف هذا « المن وحى » باسم المسرحية ثم يعرف بالمسرحية ذكرا عدد فصولها مثلا .. على النحو التالى :

من وحى اخلاق المجتمع (بين يوم وليلة): قصة تمثيلية فى منظرين .. الخ .

***

المسرح المنوع :

أما المسرح المنوع فقد اكتفى الحكيم فى فهرسته وترتيبه بذكر تواريخ كتابة هذه المسرحيات ، وعدد فصولها ، وربما كانت اشهر هذه الأعمال : رصاصة فى القلب (وهى فى الأصل مسرحية من ثلاثة فصول) والأيدى الناعمة (وهى من اربعة فصول) .

وفى هذا (المسرح المنوع) انماط عديدة من مسرحيات الحكيم التى راد فيها قومه وادباءهم الى آفاق جديدة للفكر المسرحى والأدب المسرحى .

***

هل نشر كل مسرحياته ؟ :

ربما يجعلنا هذا نطرح سؤالا : هل نشر الحكيم (فى كتب) كل مسرحياته التى نشرها من قبل فى الصحف والدوريات . سؤال قد يجد الجواب بالايجاب . حين يلاحظ الدارس تفاوت تواريخ تأليف ٢٢ مسرحية يضمها المسرح المنوع مما قد يدفع الى اصدار حكم بان الحكيم حرص على تجميع كل هذه المسرحيات فى كتاب ولكن الحقيقة ربما تكون على خلاف ذلك تماما .. وهو ما لا يمكن الجزم به الا بعد صدور دراسة ببليوجرافية ممتازة كتلك التى يعدها الأستاذ الدكتور سعد العجرسى فى مجلة عالم الكتاب أو التى يقدمها الدكتور حمدى

السكوت فى الجامعة الأمريكية عن أعلام أدبنا المعاصر .. وربما تكون هذه الدراسة مقدمة لدراسة اخرى تعطينا فكرة عن تقدير الحكيم لأعمال المسرحية .. ولأعماله غير المسرحية أيضا .

***

خلود الأعمال الأولى وشهرتها :

ربما يصدق القول القائل بأن ابرز اعمال الحكيم حتى اليوم هى اعمال السنوات الأولى . وهى من باب التصنيف ٣ روايات و ٣ مسرحيات .

فأما المسرحيات .. فهى أهل الكهف (١٩٣٣) وشهرزاد (١٩٣٤) والسيرة الحوارية (محمد) (١٩٣٦) .

اما الروايات فهى عودة الروح (١٩٣٣) ويوميات نائب فى الأرياف (١٩٣٧) وعصفور من الشرق (١٩٣٨).

وربما كان (التقديم الفنى) أو (التناول) لهذه الأعمال ذا دلالة قوية على خصوبة فكر الحكيم .. فالجمهور يرى عودة الروح التى هى فى الأصل (رواية) يراها مسرحية تقوم ببطولتها نعيمة وصفى .. ويرى يوميات نائب فى الأرياف وقد تحولت كثير من أجزائها الى أعمال تمثيلية .. وهكذا .

***

عـام مثمـر :

ثم ان المطابع فى عام ١٩٣٨ وهو العام الذى شهد صدور « عصور من الشرق » اخرجت للحكيم اربعـة مطبوعات اخرى ربما لم تحظ بنفس القدر من الشهرة وذيوع الصيت .

من هـذه المؤلفات الأربعة رواية (أشعب) وهى رواية ممتازة بلاشـك ولكنها لم تحظ بذات القدر من شهرة الروايات الثلاث السابقة عليها .

ومن هذه المؤلفات (عهد الشيطان) وهى مجموعة قصص قصيرة وربما كان لها نصيب من الشهرة يفوق نصيبها لو صـدرت قبل عشر سنوات لتوفيق الحكيم نفسـه .

أما أن يصدرها رائد المسرحية باعتراف العمالقة فأمر قـد يجعل النقاد العرب (مهما كانوا اصـدقاء) يترددون فى الاطراء على فنان واحد منشىء فى مجالين فى أقل من عشر سنوات !!

وهناك بالاضافة الى هذين العملين مجموعتان من المقالات نشرهما الحكيم تحت عنوانين مختلفين « تحت شمس الفكر » و « حمارى قال لى » .

***

كتب المقـالات :

سنلاحظ هنا أن الحكيم كان دائما ما يجمع مقالاته (المنشورة فى فترات متقاربة) تحت عنوان واحد فى كتاب واحد ، ويصـدره للناس .. هكذا كان يفعل اترابه ، من امثال طه حسين ، والعقاد ، واحمد امين .. ولكن كان الحكيم اكثر تفننا فى اختيار عنوان الكتب ، وفى جعلها ذات عناوين مختلفة مما يوحى بتنوع المقاصـد واللباب . على خلاف احمد امين الذى جعل معظم مقالاته فى سلسلة من الكتب المتوالية هى فيض الخاطر ١ ، ٢ ، ٣ ... الخ .

وعلى خلاف العقاد (ايضا) الذى سلك مسـلكا وسطا بين الحكيم واحمد امين حين عبر عن نفسه صراحة فى مقدمة كتابه « بين الكتب والناس » فقال : ان هـذه المجموعة من المقالات شبيهة بالمجاميع السابقة ومنهـا « الفصول » ، مطالعات على خلاف العقاد فان توفيق الحـكيم ترك كل هـذه التقدمات والتجميعات وعرض القارىء مقالاته كما نشرت وان اختلف الترتيب .

هل كان الحكيم اكثر ذكاء .. هل كان اقل دقة ، هل كان الفن فى طبعه متغلبا على التوثيق .. إسئلة تحتاج الى دراسة ومقارنة لا الى مجرد حكم عاجل او متعجل .

***

سبعة مجموعات :

هل لنا أن نسرد للقارىء بعد هذا عناوين الكتب أصدرها الحكيم والتى كانت فى الأصل مجموعة من المقالات لها تواريخ صدور هذه الكتب . قد يكون هذا مفيدا فى حد ذاته ، ومع هذا فهو يعطينا فكرة عن (الفجوات) الزمنية بين هذه (التجميعات) لأعمال توفيق الحكيم :

١ — تحت شمس الفكر ١٩٣٨

٢ — حمارى قال لى ١٩٣٨

٣ — من البرج العاجى ١٩٤١

٤ — تحت المصباح الأخضر ١٩٤٢

٥ — زهرة العمر — (سيرة ذاتية رسائل) ١٩٤٣

٦ — شجرة الحكم ١٩٤٥

(فى السنوات الأخيرة أعاد الحكيم اصدار هذه المجموعة من المقالات تحت عنوان « شجرة الحكم السياسى فى مصر ») .

٧ — فن الأدب ١٩٥٢

أوصـــاف اخـــرى :

وهناك بعد هذا مجموعات اخرى لم يشأ الحكيم ان يعطيها وصف مقالات وانما اعطاها أوصاف اخرى نذكرها قرين كل منها كما ذكرها هو .

٨ ــ تأملات فى السياسة (فكر)	١٩٥٤
٩ ــ التعادليـــة (فكر)	١٩٥٥
١٠ــ سجن العمر (ذكريات)	١٩٦٤
١١ــ رحلة بين عصرين (ذكريات)	١٩٧٢
١٢ــ عود الوعى (ذكريات سياسية)	١٩٧٤
١٣ــ فى طريق عـــودة الوعى (ذكريـــات سياسية)	١٩٧٥

ها أنت ترى الحكيم فى هـــذه المرحلة (١٩٥٤ ــ ١٩٥٧) يعطى أعماله الفكرية (الخارجه عن اطار الاشكال الفنية التى اشتهر بها) أســـماء تتراوح بين الفـــكر والذكريات والذكريات السياسية .

ثم اذا هو يعود الى وصف هـــذه الكتب المجمعـــة بالمقـــالات .

١٤ــ بين الفكر والفن	١٩٧٦
١٥ــ أدب الحيـــاة	١٩٧٦
١٦ــ تحديات سنة ٢٠٠٠	١٩٨٠

وفى عام ١٩٨٣ يصدر الحكيم كتابه الأخير التعارلية والاسلام والتعادلية تحت باب الفكر أيضا .

***

فهذه اذن ١٧ عملا من اعمال الحكيم تخرج عن الأشكال الفنية يمكن لنا ان نضيف اليها ٤ أعمال أخرى هى :

حمـار الحـكيم (حوار)	١٩٤٠
عصـا الحـكيم (مقالات حوارية)	١٩٥٤
حديث مع الكواكب (حوار فلسفى)	١٩٧٤
ملامح داخلية (حوار مع المؤلف)	١٩٨٢

فتصبح لدينا قائمة بواحد وعشرين عملا للحكيم لا هى بمسرحية ولا بروايـة ولا بقصـة ولا بمجموعة قصص . وانما هى كما عبر هو مجموعة مقالات ، او فكر او ذكريات ومن بين هذه الأعمال نجد ثلاثة أعمال يتناول فيها الحكيم سيرته الذاتية هى :

- زهرة العمر .
- سجن العمر .
- رحلة بين عصرين .

وليست السيرة الذاتية لتوفيق الحكيم فى هـذه

الأعمال فحسب ، ولكنها متوزعة ومنتشرة ايضا فى اعمال اخرى كما يعرف القرار جميعا مثل عصفور من الشرق . عدالة وفن ، ويوميات نائب فى الأرياف ، وعودة الروح ايضـــا .

واحد وعشرون كتابا من مؤلفات الحكيم لا تتخـذ الأشكال الفنية التقليدية .. ولكنها تخطى عند النـــاس بما تخطى به مسرحياته ورواياته ومجموعات قصصه .

***

حياته من كتبـــه :

ربما يجوز لنا ان نستطرد هنا لنروى عن توفيق الحكيم نفسه عليه رحمه الله انه كان سعيدا بتناول اعماله على النحو الذى كان يجيده الناقد الأستاذ محمد السيد شوشـــة لأعماله حيث كان يربط بينها جميعا راويـــا قصة حياة الحكيم من دون ان يكلف الحكيم عناء الحوار معه عن فترات معينـــة . كان الحكيم يقول عن هـــذا الناقد الكبير انه يفهم اعماله وحياته ولا يتعبه كثيرا كما انه لا يحمله فوق طاقته من الاعتراف ، اذ تظهر هـــذه السيرة التى كتبها شوشـــة على انها اجتهاد منه وهو امر كان يسعد الحكيم جدا او على الأقل لم يكن يوقعه فى حرج أو ضيق .

***

ومازلنا مع الأعمال « النثرية » لتوفيق الحكيم فاذا بنا نجد انفسنا امام سؤال مهم حول دور توفيق الحكيم فى النقد وبخاصة بعد ان قرانا ضمن مؤلفاته اسم كتابين هما مجموعة من المقالات فى الواقع ، ولكنهما ينبئان عن مذهب او فكرة نقدية وهما بالتحديد .

— فن الأدب (مقالات) الذى صدر عام ١٩٥٣

— بين الفكر والفن (مقالات) الذى صدر عام ١٩٧٦

والحقيقة ان هـذين الكتابين لا يمثلان كل جهـد توفيق الحكيم فى فن الأدب والفن وانمـا هما يجمعان عددا من المقالات فى هذا الشأن .

وربما يكون هذا هو المقام المناسب للاشـارة الى دراسة الحكيم التى إسماها « قالبنا المسرحى » التى صدرت عام ١٩٦٧ فبهذه تكتمل الفـكرة عن مذهب الحكيم وآراء الحكيم القيمة فى هذا المجـال ، وبالطبع فلا يجوز لنا أن ننسى ان كتابه « التعادلية » هو التعبير عن مذهبه فى الحياة والفن كما كتب هو نفسه .

***

تفسـير القرطبى :

تكتمل لدينـا حتى الآن قائمة بكتب ادبية للحكيم (ليست من الأشكال الأدبية التى هى الرواية او القصة

او المسرحية) (تبلغ الأعمال الروائية والقصصية كما سياتى ١٣ مؤلفا .. والأعمال المسرحية ٢٤ مؤلفا) .. وهناك عملان سنتحدث عنهما بعد الرواية والمسرح قد ينتميان الى الشعر .. ما هو العمل الذى ينتمى الى الأعمال غير الشعرية وغير الروائية وغير المسرحية ؟ انه تلخيص تفسير القرطبى الذى اسماه الحكيم مختار تفسير القرطبى (١٩٧٧) وهو عمل عظيم يحتاج الى جهد حقيقى فى دراسة فلسفة الحكيم فى التلخيص الاختيار والمواءمة والفهم الدينى العميق .. لا مجرد النظر الى جهده فى هذا المجال على انه عمل تلخيصي فحسب .. هذا عمل رجل قارب الثمانين (فى ١٩٧٧ كان الحكيم قد اقترب كثيرا من الثمانين) وقد نشره على الناس ولم يجد صدى كثيرا لما فعل فهل حرام على مثله المفكرين أن يقتربوا من مثل هذا المحيط ؟

***

مسرح الحكيم :

ها نحن ننتهى من الأعمال النثرية لتوفيق الحكيم من سيرة ذاتية وذكريات وذكريات سياسية وحوارات .. ومقالات ودراسة لنصل الى اللب .. الى جوهر أدب الحكيم رائد المسرح العربى ، فنجد قائمة طويلة من المسرحيات التى فاقت بعضها ، يحتار المرء كيف يقدمها

القارىء فلا يجد خيرا من الترتيب الزمنى كما فعل الحكيم نفسه (باستثناء واحد حين قدم كتابه عن محمد السيرة الحوارية على كل مؤلفاته مسرحيات وغير مسرحيات) .

هذه المسرحيات هى اساس مسرحنا المعاصر بكل مذاهبه ، وهى معلم من معالم نهضة مصر لا المسرحية ولا الثقافية فحسب ، ولكن النهضة الحضارية كلها ، أو فلنقل النهضة على الاطلاق .

ولنقرأ معا اسماء تدل على ثقافات عميقة ومعالجات ذكية :

١	ـ اهل الكهف	١٩٣٣
٢	ـ شهرزاد	١٩٣٤
٣	ـ محمد	١٩٣٦
٤	ـ براكسا (او مشكلة الحكم)	١٩٣٩
٥	ـ بجماليون	١٩٤١
٦	ـ سليمان الحكيم	١٩٤٣
٧	ـ أوديب	١٩٤٩
٨	ـ الأيدى الناعمة	١٩٥٩

٩ ـ ايزيس	١٩٥٥
١٠ ـ الصفقة	١٩٥٦
١١ ـ لعبة الموت	١٩٥٧
١٢ ـ أشواك السلام	١٩٥٧
١٣ ـ رحلة الى الغد	١٩٥٧
١٤ ـ السلطان الحائر	١٩٦٠
١٥ ـ يا طالع الشجرة	١٩٦٢
١٦ ـ الطعام لكل فم	١٩٦٣
١٧ ـ شمس النهار	١٩٦٥
١٨ ـ مصير صرصار	١٩٦٦
١٩ ـ الورطة	١٩٦٦
٢٠ ـ مجلس العدل	١٩٧٢
٢١ ـ الدنيا رواية هزلية	١٩٧٤
٢٢ ـ الحمير	١٩٧٥

هذا بالاضافة الى المجموعتين الكبيرتين

٢٣ ـ مسرح المجتمع	١٩٥٠
٢٤ ـ المسرح المنوع	١٩٥٦

يمكن لنا اذن أن نقول ان مجموع مؤلفات الحكيم التى تندرج تحت « مسرحية » ٢٤ مؤلفا .. ويمكن القول انها تحوى ثلاثا وستين مسرحيـة ... ٢١ كل واحدة منها فى كتاب منفصـل و ٢١ فى مسرح المجتمع و ٢١ فى المسرح المنوع وواحدة طبعت مرة فى كتـاب وطبعت ايضـا ضمن المسرح المنزع .. وهى الأبـدى الناعمة .

٦٣ مسرحية هى ـ على الأقل ـ المتاح إمامنـا من تراث رائد المسرح (هذا بالاضافة الى أعماله الأولى من امثال : الضيف الثقيل) .

راجع الآن ما تعمدنا تقديمه من تفصيل القول فى مسرحيات مسرح . المجتمع والمسرح المنوع .

***

روايـات الحـكيم :

ونأتى الى روايات توفيـق الحـكيم فنجدها على على الترتيب (الزمنى) :

١ ـ عـودة الروح	١٩٣٣
٢ ـ يوميات نائب فى الأرياف	١٩٣٧
٣ ـ عصفور من الشرق	١٩٣٨

٤ ــ اشــعب ١٩٣٨

٥ ــ راقصة المعبد (رواية قصيرة) ١٩٣٩

٦ ــ الرباط المقدس ١٩٤٤

٧ ــ بنك القلق (رواية مسرحية) ١٩٧٦

وهكذا نجد الحكيم ينصرف تماما عن الرواية منذ ١٩٤٤ لماذا هذا هو السؤال الذى ينبغى أن تتولى الاجابة عنه رسائل متعددة للدكتوراة .. وللماجستير .

ثم أين يمكن تصنيف بنك القلق ؟؟ هل هى رواية او مسرحية ... سؤال يحتاج شيئا من الفهم العميق للمعنى الذى اراده الحكيم حين وصفها فى عــام ١٩٧٦ وقد بلغ ما بلغ بأنها « رواية مسرحية » .. وهو يحتاج كذلك الى فهم المقصود بالتعبير الجديد « المسرواية » .

***

ونأتى الى القصص :

١ ــ عهد الشيطان (قصص قصيرة) ١٩٣٨

٢ ــ سلطان الظلام (قصص) ١٩٤١

٣ ــ عدالة وفن (قصص) ١٩٥٣

٤ ــ ارنى الله (قصص قصيرة) ١٩٥٣

٥ ــ ليلة الزفــاف (قصة) ١٩٦٦

٦ ــ ثورة الشباب (قصة) ١٩٧٥

***

لمــاذا انصرف عن الرواية :

هل يمكن لنا ان نزعم ان الحكيم كان فى البداية أميل الى القصص القصيرة ؟ لمــاذا انصرف الحكيم عن الرواية وركز على المسرح ؟

لمــاذا ظل الحــكيم تواقا الى كتابة القصــة حتى ١٩٧٥ ؟ والرواية المسرحية (١٩٧٦) .

اسئلة تحتاج فى ظنى الى تقييم دور النقد الأدبى فى حياتنا الأدبية واثره على أعمال كبار الكتاب واتجاهاتهم فى التاليف والأعمال الأدبية .

***

نأتى بعد هذا الى عملين متميزين من أعمال الحكيم ثانيهما « شعر » هو رحلة الربيع والخريف ، وقد صدر عام ١٩٦٤ وهو أمر يحتــاج الى دراســة وعرض نقد وتقييم لانزعم اننا قادرين على شىء منها ها هنا .

وأولهما كان « نشيد الانشاد » الذى اصـــدره الحكيم (١٩٤٠) وجعل تعليقه عليه « كما فى التوراة » .

هذان العملان قد يحتاجان دراســـة ادبية لعناصر لعناصر الابداع الفنى عند رجل مسرحى من الطراز الأول، وقد تثير الدراسة تساؤلات حول موقف الحكيم من المسرح الشـــعرى ، ومن المزج بين المسرح والشـــعر ، وبخاصة وقد أصبح من الواضح انه كانت عنده شـــبه نواة لمثل هـــذا العمـــل ، وان لم يكن الحكيم شـــاعرا بالفطرة ؟

دراسات كثيرة ربما تثير كثيرا من التجديد فى فهمنا لأدبنا القومى وتطوره ومستقبله وربما لا تثير .

***

الفهـــرس

	الصفحة
اهـــداء	٣
مقـــدمة	٥
حياة توفيق الحكيم	٩
توفيق الحكيم مفكرا	٤١
توفيق الحكيم اديبـا	٨٧
الآثار الأدبية لتوفيق الحكيم	١٠٩

رقم الايداع ٨٨/٥١٢٥

الترقيم الدولى ١ ـ ١٨٦٢ ـ ٠١ ـ ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب